

الباب الثاني

"دور الأحابيش السياسي في العصر الجاهلي وصدور الإسلام"

الفصل الأول: الأهمية السياسية لبلاد العرب

الفصل الثاني: دور الأحابيش السياسي في العصر الجاهلي

الفصل الثالث: دور الأحابيش السياسي في صدور الإسلام

الفصل الأول

الأهمية السياسية لبلاد العرب

كان لزاماً عند الحديث عن دور الأحباش السياسي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام تقديم صورة موجزة وواضحة عن الأهمية السياسية لموقع شبه الجزيرة العربية بوجه عام ومكة بوجه خاص ثم الحديث عن المحاولات الأجنبية للسيطرة على تلك المنطقة^(١).

موقع بلاد العرب :-

تقع بلاد العرب أو شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي من آسيا ويحدها الخليج العربي وبحر عمان شرقاً^(٢)، والمحيط الهندي جنوباً والبحر الأحمر غرباً وبادية الشام شمالاً، ويبدأ حدها الشمالي بغزة الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقي، ويمر جنوب البحر

(١) لقد كانت هناك نية للحديث عن النظام السياسي في شبه الجزيرة العربية وخاصة مكة خلال فترة البحث ، لكن تم العدول عن ذلك على أن يكون الحديث عن ذلك النظام من خلال الحديث عن الدور السياسي للأحباش ، وذلك منعاً للتكرار لأنه لو تم الحديث عن الحياة والدور السياسي للعرب بوجه عام ثم الحديث عن دور الأحباش السياسي فإن ذلك سيكون تكراراً ، أضف إلى ذلك أن أكثر الكتب والدراسات التي تحدثت عن النظام السياسي للعرب لا تخلو من التشابه، ولذا سيكون تناول الباحث للدور السياسي للعرب من خلال العرض للدور السياسي للأحباش في الجاهلية وصدر الإسلام.

(٢) جواد علي: المرجع السابق، ج١، ص١٤٠.

الميت حتى شرقي الأردن، ثم يمر من دمشق إلى الفرات متتبعا مجراه لينتهي عند الخليج العربي^(١).

ويقال أن طول جزيرة العرب من أقصى عدن إلى ريف العراق، وعرضها من جدة وما والاها إلى أطراف الشام، وقد كان يذهب بعض العلماء المسلمون إلى ذلك خاصة عند تفسيرهم لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي أمر فيه بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وقيل أن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - استجاز إخراج أهل نجران من اليمن وكانوا نصارى إلى سواد العراق، وأجلى يهود خيبر إلى الشام من أجل حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -^(٢).

وتعتبر شبه الجزيرة العربية أكبر شبه جزيرة في العالم من حيث المساحة^(٣)، وجدير بالذكر أن العرب يطلقون على شبه الجزيرة العربية اسم جزيرة، مع أن الماء يحيط بها من الشرق والغرب والجنوب فقط، أما في الشمال فتوجد بادية الشام، ولذلك كان سبب تسمية العرب لها اسم جزيرة من باب التجوز، ومن المحتمل أن يكون السبب وراء ذلك أيضاً يكمن في أن العرب في رحلاتهم التجارية بين الشمال والجنوب، وبين

(١) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) المغربي: أدب الخواص، ص ٩٥.

(٣) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ج ١،

الشرق والغرب كانوا يسيرون مع شواطئ البحار فظنوا أن أرضهم محاطة بالبحار من جميع الجهات^(١) فلذلك سموها جزيرة العرب.

و جدير بالذكر أن شكل شبه الجزيرة العربية الحالي لم يكن هو كما كانت عليه في العصور السابقة، فمنذ العصر الجوراسي^(٢) كان المحيط الهندي والخليج العربي (الفارسي قديماً) يفصلان الجزيرة العربية عن الهند وإيران اللتان لا يزال تركيبهما الجبلي بارزاً في منطقة عمان، وفي العصر الثالث فصلت بلاد العرب عن شمال أفريقيا بظهور البحر الأحمر، وبذلك صارت بلاد العرب محاطة بالمياه إلا من الشمال^(٣).

وليس ذلك بغريب، فأكثر المناطق الموجودة على سطح الأرض قد اتخذت في تكوينها واستقرارها على أشكالها الحالية تطوراً وتغيراً بفضل العوامل الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها، فمثلاً كانت جبال المقطم التي بمصر ذات يوماً قاعاً لبحر، وكذلك نهر النيل الذي تجرى مياهه من جنوب مصر، كانت منابعه تأتي من أعالي جبال البحر الأحمر، فعند النظر إلى خريطة مصر نجد نهر النيل محاطاً من الناحية الشرقية بعدة وديان جافة، كانت عبارة عن أنهاراً محلية تنبع من أعالي جبال البحر الأحمر،

(١) أحمد شلبي: المرجع السابق: ج ١، ص ٨٤.

(٢) العصر الجوراسي: هو العصر الثاني من حقبة الحياة المتوسطة التي تعود تقريباً إلى ١٦٧ مليون سنة، وأهم ما يميز العصر الجوراسي ظهور النباتات الزهرية مغطاة البذور وظهور الثدييات الكيسية (الجيبية) كالكانجارو.

(٣) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ١٧.

حيث كانت الأمطار تسقط بغزارة فتذاب مياهها في هذه الأنهار لتصب في النيل، وذلك في الحقبة التي امتدت من ٤٠٠: ٢٠٠ ألف عام قبل الآن تقريباً^(١).

أما عن مساحة شبه الجزيرة العربية فتقدر بما يزيد على ٣ مليون كم^٢^(٢)، وبالتحديد ٣١٥٦٥٥٨ كم^٢ تقريباً إذا أضيف إليها شبه جزيرة طور سيناء^(٣).

فتبلغ مساحة شبه الجزيرة العربية من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها نحو ٢٥٠٠ كم، وعرضها من البحر الأحمر إلى الخليج العربي نحو ١٠٠٠ كم^(٤) ومن الشط الشرقي من مصب نهر الفرات إلى رأس مسندم إلى رأس الحد ٦٠٠ كم^٢، ومن رأس الحد إلى باب المندب ٢٢٠٠ كم، ومن باب المندب إلى السويس ١٩٠٠ كم، وطول الحد الشمالي الوهمي من السويس إلى مدينة البصرة ١٥٠٠ كم^(٥) هذا بالنسبة للمساحة.

(١) محمد أحمد الشهاوي: تغير المناخ ومستقبل الأرض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥٣.

(٢) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة/ عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٩.

(٣) محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١، ٢٠٠٠م،

ج ١ ص ٧٦.

(٤) جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٥) محمد طاهر الكردي: المرجع السابق، ج ١ ص ٧٥-٧٦.

أما من ناحية التقسيم، فهناك من قسمها إلى ثلاثة أقسام هي:-

١- بلاد الحجر العربية: ويقصد بها جزيرة طور سيناء الممتدة من حدود فلسطين إلى البحر الأحمر، ولكن الجغرافيين العرب لا يعدون بلاد الحجر من شبه الجزيرة العربية^(١)

٢- العربية الصحراوية: ويقصد بها البادية الكبرى الممتدة من حدود سوريا والعراق إلى المحيط الهندي محاذية الخليج العربي^(٢).

٣- بلاد العرب السعيدة: فتشتمل على نجد والحجاز واليمن وعمان^(٣).

٤- وهناك من قسمها إلى أربعة أقسام هي: اليمن ونجد والحجاز والغور^(٤).

٥- وهناك من قسمها خمسة أقسام وهو المعمول به عند أكثر العلماء، وهي: تهامة ونجد والعروض واليمن والحجاز.

١- تهامة: هي الناحية الجنوبية من الحجاز ويقال لها الغور^(٥)، وهي الأراضي التي على شاطئ البحر الأحمر ممتدة عرضاً إلى سلسلة جبل

(١) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ١٨.

(٣) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٧. والغور هي تهامة وسميت بالغور لإنخفاض أرضها.

(٥) الهمذاني: صفة جزيرة العرب، تحقيق/ محمد الأكوغ، صنعاء، ٢٠٠٨م، ص ٨٥؛ محمد

الخضري: الدولة الأموية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ١٥.

السراة وسموها تهامة لشدة حرها، وركود ريحها من شدة الحر وركود الريح.

٢- نجد: يطلق لفظ نجد في اللغة على الأرض المرتفعة، وما خالف الغور (تهامة)^(١)، ويمتد نجد من جبال الحجاز، ويسير شرقاً إلى صحراء البحرين، ففي أعلى نجد تهامة، واليمن، وأسفله العراق والشام، ومرتفع نجد فسيح فيه صحراوات وجبال نثرت فيه أراضي صالحة للزراعة، وهو أصح بلاد العرب، وأجودها هواء^(٢).

٣- العروض: ويشمل اليمامة والبحرين وما والاها^(٣).

٤- اليمن: وهي البلاد التي تقع في جنوب الحجاز، وهي مشهورة، وهي ما كان جنوبي نجد إلى ساحل بحر الهند ويمتد شرقاً إلى حضرموت والشمر وعمان.

٥- الحجاز: هي المنطقة التي تحجز بين تهامة ونجد^(٤) وقيل سميت بالحجاز لأنها تفصل بين الشام واليمن والتهائم^(٥)، وقيل سميت بذلك لما

(١) الألويسي: تاريخ نجد، تحقيق/ محمد بهجت الأثرى، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥، ص٧.

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٦٤م، ص٣.

(٣) جواد على: المرجع السابق، ج١، ص١٧٤.

(٤) الزبير بن بكار: جمهرة نسب قریش وأخبارها، تحقيق/محمد شاکر، دار البيان العربي، القاهرة، ١٣٨١هـ، ج١، ص٥٣.

(٥) المسعودی: المصدر السابق، ج٢، ص٢.

احتجز به من الجبال^(١)، وهناك من يقول أن الحجاز هو الحجاز الحاجزة بين الأرض العالية (نجد) وبين الساحل المنخفض (تهامة) فهو إذن الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير، ولكن اسم الحجاز في العرف يشمل تهامة أيضاً، وقد عدّ بعض العلماء تبوك وفلسطين من أرض الحجاز، ويبلغ طول الحجاز من الشمال إلى الجنوب حوالي ٧٠٠ ميل، وعرضه من الشرق إلى الغرب ٣٥٠ ميلاً^(٢).

وجدير بالذكر أن بلاد الحجاز تشتمل على عدد من المدن أهمها:-

١- مكة المكرمة.

٢- ويثرب التي عرفت بعد هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة المنورة

٣- جدة، وهي تقع على البحر الأحمر.

٤- الطائف: وهي من المدن المهمة والقديمة بالحجاز، قيل سميت بالطائف لأن إبراهيم الخليل - عليه السلام - لما دعا بقوله "وارزقهم من الثمرات" فأجاب الله دعائه، وأمر جبريل بقلع قرية من الشام فاحتملها من تخوم الثرى بعيونها، وأشجارها، ومزارعها، ثم طاف بها بالبيت، ووضعها

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، تحقيق/ فوزى أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،

٢٠٠٥م، ج٤، ص٢٤٦.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص٢٠.

مكانها التي هي فيه الآن فسميت الطائف لذلك^(١) وقيل سميت بالطائف نسبة إلى الحائط أو الجدار الذي كان يحيط بها^(٢) ونظراً لاعتدال جوها، وانتشار الأشجار، والمزارع، والبساتين بها فكانت مصيفاً للعرب خاصة القرشيين منذ الجاهلية.

٥- عسير: يطلق اسم عسير على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة إلى جنوب الحجاز، وشمال اليمن، وتشمل سهلاً ساحلياً بما يحاذي البحر الأحمر على طول ٢٠٠ ميل وعرض ٤٥ ميلاً^(٣).

يلاحظ في العرض السابق أن هناك من أدخل العراق، والشام، وسيناء وفلسطين ضمن حدود شبه الجزيرة العربية، وهناك من رفض ذلك، وقد يكون السبب في هذا الخلاف، هو أنه قبل الإسلام كان يراد بالعرب سكان شبه الجزيرة العربية سواء في الحجاز أو اليمن أو نجد أو تهامة ولا يعدون فيهم العراق والشام ومصر (مع الانتباه إلى وجود بعض العرب في تلك البلاد قد هاجروا إليها إما للتجارة أو الاستقرار) لأن أهل العراق والشام كانوا السريان والكلدان والنبط واليهود، واليونان، وأهل مصر من القبط، وأهل المغرب من البربر، واليونان، والوندال، وأهل السودان من

(١) الكنانى: رسالة في فضائل الطائف، مخطوط بمكتبة الإسكندرية، ورقة ١٢.

(٢) الكنانى: المصدر السابق، ورقة ٢ب.

(٣) محمد الكردي: المرجع السابق، ج ١، ص ٧١.

النوبة والزنج وغيرهم، فلما ظهر الإسلام وانتشر العرب في الأراضي واستوطنوا هذه البلاد، وغلب لسانهم على ألسنة أهلها فسموا عرباً^(١).

الصراع الدولي للاستيلاء على بلاد العرب في الجاهلية وصدور الإسلام:-

لقد كان لموقع شبه الجزيرة العربية بوجه عام والحجاز بوجه خاص أهمية تاريخية، وموقعاً استراتيجياً بين حضارات العالم القديم، التي كانت محيطة بها، كحضارة بلاد الرافدين، ومصر، وآسيا الصغرى، وفارس.

ولقد تعرضت البلاد الواقعة في شبه الجزيرة العربية سواء في الشمال أو الجنوب لمحاولات الاستيلاء عليها إما الأهداف سياسية أو اقتصادية أو دينية أو عسكرية، وهنا سيكون التعرض بإيجاز لمحاولات احتلال الحجاز التي كانت بها مساكن الأحابيش وديارهم.

١- البابليون والآشوريون:-

لقد حاول البابليون والآشوريون اللذان كانا تتمركز دولتهما ببلاد الرافدين السيطرة على شمال الجزيرة العربية، ولاشك أن ذلك إنما كان لمحاولة التوسع، وضم منطقة شبه الجزيرة العربية بأكملها، خاصة المناطق الشمالية منها إلى دولتهم، وهناك نقوشاً بابلية ترجع إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد تدل على محاولات ملوك بابل، وآشور لغزو

(١) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص ٣٩.

شمال شبه الجزيرة العربية^(١)، وهناك مناطق يعتقد بعض الباحثين أنهم قد نجحوا في السيطرة عليها مثل معان (معين) في الشمال الغربي من الجزيرة العربية على طريق الحجاز إلى الشام، وذلك قبل أن ينطلق المعينيون إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ويؤسسوا دولتهم في السهل الواقع بين نجران وحضرموت في الفترة ما بين ١٣٠٠ إلى ٦٢٠ ق.م تقريباً^(٢)، وتتحدث النقوش أيضاً على سيطرتهم على "سبو" والتي يعتقد أنه يقصد بهم أسلاف السبئيين اليمينيين في عهد بداوتهم ثم هاجروا منها جنوباً وأسسوا دولتهم في الفترة من ٦٢٠ إلى ١١٥ ق.م تقريباً^(٣).

وهناك نضان آشوريان يوضحان العلاقة بين آشور وبلاد اليمن، فالنص الأول يرجع إلى حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) ففي العام السابع من حكمه (٧١٤ ق.م) تسلم الجزية من بعض الحكام ومنهم إيتامر السبئي^(٤).

أما النقش الثاني فقد جاء في حوليات سنحاريب ملك آشور (٧٠٤-٦٨١ ق.م) حيث أمر بإحضار كنوز الملك "كريبي ايلو" ملك سبأ، وذلك عندما وضع سنحاريب أساس المعبد في عيد رأس السنه، وهذه

(١) على أكبر: تاريخ شبه الجزيرة العربية والإسلام، ترجمة عبد الوهاب علوب مركز النشر بجامعة القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٣٠.

(٢) المباركفوري: السابق، ص ٣١؛ على أكبر: تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص ٣٠-٣١.

(٣) على أكبر: المرجع السابق، ص ٣١-٣٢.

(٤) فايضة محمود صقر: العلاقات بين العرب والعراق القديم، بحث منشور بحوليات اتحاد

المؤرخين العرب، ندوة أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٩٨

الكنوز عبارة عن أحجار كريمة وأعشاب عطرية^(١)، ولاشك أن هذين النصين يوضحان الأطماع الآشورية ببلاد العرب.

٢- الفرس: -

لقد كان الفرس يطمعون في ضم شبه الجزيرة العربية إلى دولتهم، إما بغرض التوسع السياسي، أو الطمع في خيراتها الاقتصادية فها هو نبوخذ نصر الثاني (بختنصر) يقوم بغزو العرب مرتين، الأولى وصل فيها إلى ذات عِزق، والثانية عام ٥٨٧ ق.م^(٢).

وفي عهد الملك قورش الأول (٥٥٧-٥٢٩ ق.م) استطاع أن يلم شمل الفرس، وسيطر على بلاد العراق وما جاورها، لدرجة أن العرب المجاورين للعراق كانوا يدفعون الجزية لملك الفرس، واستمر الأمر على ذلك حتى قام قمبيز (كمبوجته) باتخاذ طريق العراة الأشوريين بشمال الجزيرة العربية طريقاً له أثناء غزوة لمصر وأخذت بلاد العرب تتخلص من نير النفوذ الفارسي عليها خاصة بعد أن قضى الإسكندر الأكبر على ملكهم، وقتل ملكهم دارا بن دارا وقسم الدولة الفارسية إلى دويلات عرفت بملوك أو دويلات الطوائف^(٣).

(١) فائزة محمود صقر: العلاقات بين العرب والعراق القديم، ص ٩٩.

(٢) المباركفوري: المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣) وهي غير دولة الطوائف التي قامت بالاندلس في العصر الإسلامي، ويقال أن أول من جمعهم بعد ذلك هو أردشير بن بابك. ابن حبيب: المحبر، ص ٣٤٤.

عندئذ أخذ العرب يُغيرون على حدود بلاد فارس، حتى تولى الملك شابور (سابور) ملك فارس والذي كان له الاهتمامات ببلاد العرب، وأولى لها اهتمامه^(١) وقام بغزوهم، وفي أثناء غزواته وحروبه ضد العرب كان يقوم بخلع أكتافهم، فعرف بسابور ذي الأكتاف لأنه كان ينزع أكتاف أعدائه ومخالفيه وخاصة العرب^(٢) لإرهابهم، وفي عهد الملك الساساني أردشير قام بطرد العرب من فارس ودخل البحرين عن طريق الخليج العربي، وتوغل في أراضي الجزيرة العربية واستولى على المنطقة الممتدة من السواحل وحتى ديار بكر^(٣)، كما كانت اليمن تحت سيطرة الفرس، وفي فترة صدر الإسلام كانت بلاد العرب مسرحاً للصراع السياسي والعسكري بين الفرس والروم فقد دار بين الفريقين حروباً طاحنة، ففي عام (٦١٣ - ٦١٤ م) اجتاح الفرس بلاد الشام، ودارت بينهم وبين الروم عدة معارك أشهرها المعركة التي انتصر فيها الرومان بعد هزيمتهم من الفرس، وفرح بها المسلمون وخلدها القرآن الكريم بين دفتيه وسمى بذلك سورة الروم والتي منها: ﴿الم (١) غَلَبَتْ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ

(١) على أكبر: المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢) ابن الجوزي: المدهش، تحقيق/ حامد أحمد الطاهر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٦٥، ويبدو أن عادة خلع الأكتاف هذه كانت منتشرة عند الفرس، فقد كان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه. محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، ص ٣٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

(٣) على أكبر: المصدر السابق، ص ٣٢.

بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) ﴿١﴾.

وكان هذا الانتصار عام ٦٢٧م، وانهزم الفرس وتولى شيروية الحكم^(٢).

كما دارت حرب طاحنة بين الفرس والعرب عرفت باسم "ذى قار" بين الفرس والعرب كبكر بن وائل وبنى شيبان، وكانت بين بدر وأحد، وروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تمثلت له هذه الواقعة فرفع يديه ودعا لبني شيبان ولجماعة بن ربيعة بالنصر، ولم يزل يدعو لهم حتى أرى هزيمة الفرس، وقيل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال عن هذه الموقعة ذاك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا^(٣).

وفي عام ٧هـ أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - يرسل الرسل والسفراء إلى حكام الدول خارج شبه الجزيرة العربية، ومنهم كسرى أبرويز الذي أرسل إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن حذافه

(١) (الروم: ١-٥) . عبد الرحمن أحمد سالم: المرجع السابق، ص ٤٥، كان حاكم الفرس آنذاك يدعى أبرويز (٥٩٠-٦٢٨م).

(٢) إبراهيم خميس وآخرون، معالم التاريخ البيزنطي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م ص ١٣٧.

(٣) ابن واصل: تجريد الأغاني، تحقيق/ إبراهيم الإيباري وآخر، طبعة مصر، ١٩٦٣م، القسم الثاني الجزء الثالث، ص ٢٤٤٠، ولمزيد من التفصيل عن هذه الموقعة يمكن الرجوع لكتاب أيام العرب في الجاهلية لمحمد جاد المولي فقد ذكرها بالتفصيل في أكثر من ثلاثين صفحة.

السهمي، لدعوته إلى الإسلام^(١) فما كان من كسرى إلا أن مزق كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولما بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الخبر دعى على كسرى بتمزيق ملكه، وبعد هذه الحادثة قامت عدة حروب بين الفرس المجوس والعرب المسلمون امتدت من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى عهد الخلفاء الراشدين واستقرار فتح بلاد فارس ودخولها للإسلام، وعندئذ أصبحت فارس التي كانت تهدد، وتغير على بلاد العرب بالأمس خاضعة للإسلام الذي أصبح يرفرف عليها.

٣- الإغريق (اليونان):-

لقد ظهرت الأطماع الإغريقية في بلاد العرب بشكل واضح في عهد الإسكندر المقدوني الذي تولى عرش مقدونيا في الفترة من (٣٣٣-٣٢٣ ق.م)، ففي حروبه ضد الفرس وقف على أهمية شبه الجزيرة العربية خاصة اليمن، فبعد أن قرأ الإسكندر التقرير الذي أرسله إليه قائده البحري (تباخرس) يصف فيه بلاد اليمن، والثراء الذي تعيشه هذه البلاد، وتوافر البخور، واللبان، والتوابل، والمجوهرات بها بكثرة، سال لعاب الإسكندر في السيطرة على تلك البلاد^(٢)، ولا يستبعد أن يكون هناك أسباب أخرى دفعت الإسكندر في محاولة ضم شبه الجزيرة العربية، فهي تجاور بلاد فارس أعداء الإغريق اللدودين، بالإضافة لتوسطها بين مصر وفارس

(١) فتحى فوزى: سفراء الرسول، دار الأندلس الجديدة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

(٢) القاضى عبد الله: اليمن الإنسان والحضارة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ص٦٧.

وموقعها المتميز والأهم ثرواتها، وكذلك حب الإسكندر في السيطرة على بلدان العالم، ويصبح سيداً عليها براً وبحراً^(١).

ويمكن القول أن الإسكندر بالإضافة إلى ما سبق قد فطن إلى أهمية بلاد العرب، والخليج العربي (الفارسي آنذاك) كأحد الطرق الأساسية التي تؤدي إلى بلاد الهند التي كان يحلم الإسكندر بدخولها، ولذا قرر أن يعد العدة لذلك، وأرسل العيون والجواسيس لاستطلاع واستكشاف تلك البلاد تمهيداً لغزو الجزيرة العربية وأن يجعل من موانئ الخليج العربي فينيقية الثانية^(٢) فلقد أرسل ٣ حملات لجمع المعلومات عن بلاد العرب والجزر المتاخمة لها، وذلك عام ٣٢٤ ق.م^(٣)، ليس هذا فقط بل قام بالفعل في إنشاء أسطول في فينيقيا وقبرص تمهيداً لاستكشاف بلاد العرب وبالتالي غزوها، وفي عام ٣٢٢ ق.م أصبح مشروع الإسكندر لغزو بلاد العرب وشيكاً لولا أن القدر حال دون إتمام هذا المشروع بموت الإسكندر في العاشر من شهر يونيه من نفس العام^(٤). وهناك أقوال تتردد حول دخوله بالفعل شبه الجزيرة العربية حيث وصل إلى اليمن ومكة

(١) السيد جاد: بلاد العرب، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٥٠.

(٢) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٧٠١.

(٣) الحملة الأولى كانت بقيادة أرخباس ووصلت إلى جزيرة تيلوس "البحرين".

الحملة الثانية كانت بقيادة اندروستينز وصلت أيضاً إلى تيلوس وأرادوس.

الحملة الثالثة كانت بقيادة هيرون وطافت حول شبه الجزيرة العربية ومنها إلى ميناء هيروبوليس

المصري. أبو اليسر فرح: الشرق الأدنى، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١ ٢٠٠٢م، ص

وتهامته^(١)، ومن الواضح أنها أقوال ضعيفة، وأن هذا القول مبالغ فيه خاصة أن صاحب هذا القول ذكر أن وقت دخول الإسكندر مكة كان معاصراً لولاية خزاعة على مكة^(٢)، ويبدو أنه قد خلط بين الإسكندر المقدوني وبين أحد ملوك العرب ويلقب بذي القرنين^(٣)، ويكفى للرد على هذا القول أن الإسكندر قد توفي قبل أن تتخزع خزاعة، وقبل أن تخرج الأزد من اليمن كما أن الإسكندر قد توفي قبل أن ينجح في إتمام مشروعه لغزو بلاد العرب، واحتلال شبه الجزيرة العربية^(٤).

وبعد وفاة الإسكندر، تقاسم قواده الإمبراطورية فيما بينهم فكانت سوريا من نصيب أنتجونس، الذي استولى عليها وعلى فينيقية واستولى كذلك على بلاد الحجر (البتراء)^(٥)، في حين استولى بطليموس الأول على مصر.

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق/ عصام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٧٥.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٧٥.

(٣) من الذين تسموا أو تلقبوا بذي القرنين من العرب الصعب الذي عرف في الأشعار بالصعب ذي القرنين، وكذلك تبع.

(٤) القاضعبد الله: المرجع السابق ص ٦٧، جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص ٩١.

(٥) جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص ٩١.

٤- روما وبيزنطة:

لم تكن روما تجهل أهمية شبه الجزيرة العربية، فقد سعت إلى محاولة السيطرة عليها وضمها إلى دولتهم، ولعل ذلك يتجلى بوضوح في تسوية بومبي التي وضعها للشرق عام ٦٣ ق.م، وضمه لمملكة النبط، حيث أصبحت الولايات والمناطق التي كانت خاضعة للأباط تدين بالولاء للرومان، ومن تلك المناطق جزءاً من الحجاز، وبالتحديد الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية^(١) وبعد أن إطمأن بومبي لاستقرار وخضوع الأسر الحاكمة العربية في الشرق له، ترك بومبي الإدارة في أيديهم ليديرونها^(٢) بأنفسهم مع تبعيتهم لروما.

وبالرغم من ذلك فإن الرومان كانوا يريدون مد نفوذهم إلى اليمن للاستيلاء على خيراتها، ففي عام ٢٦ ق.م قرر أغسطس أن يرسل قائده في مصر إيلوس جالوس، بحملة لاحتلال اليمن^(٣)، وذلك بعد أن وقف أغسطس على أهمية موقع اليمن سواء في تحصين الإمبراطورية الرومانية أو خيراتها، وبالفعل تحرك جالوس عام ٢٤ ق.م لتنفيذ مشروع أغسطس وضم إلى جيشه جنوداً من الشام وخمسمائة جندي نبطي^(٤) بقيادة

(١) عرفان شهيد: روما والعرب، ترجمة/ محمد فهمي عبد الباقي- المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت، ص ٥٦.

(٢) عرفان شهيد: المرجع السابق، ص ٦٢.

(٣) هتون الفاسي: ملكات الأباط، بحث بمجلة أدوماتو، العدد ٢٦، ص ٢٩.

(٤) القاضي عبد الله: المرجع السابق، ص ٧٠.

سيلايوس وزير عبادة الثالث (٣٠-٩٠ ق.م)^(١)؛ ولكن فشلت هذه الحملة فشلاً ذريعاً لدرجة أنه لم ينجوا منها سوى إيلوس جالوس وبعض الجنود الذين كانوا معه في مؤخرة الجيش بالإضافة للمؤرخ "إسترابون" الذي لم يجد تبريراً للفشل الذي أصاب هذه الحملة وأدى إلى هلاك غالبية أفرادها إلا الادعاء بقيام القائد العربي سيلايوس بإبعاد الحملة عن الطريق الصحيح وسلك بهم طريقاً آخر أدى إلى هلاكهم^(٢)، ولا يمكن استبعاد أن يكون العرب هم الذين نجحوا في مقاومة الروم الغزاة، فأنف استرابون من ذكر بسالة العرب معللاً هزيمتهم بتضليل سيلايوس لهم.

وعلى كل حال لم تكن هذه المحاولة الوحيدة التي حاول فيها الرومان السيطرة على بلاد العرب، فقد سلكوا طريقاً أخرى لتحقيق هدفهم متمثلة في الحملات التبشيرية لنشر الدين النصراني، وكذلك استخدام رعايتهم للنصارى في بلاد العرب حجة للدفاع عنهم؛ ولعل أبرز دليل على ذلك قيام الامبراطور جستين الأول (٥١٨-٥٢٧ م) بتحريض نجاشي الحبشة على غزو اليمن بسبب الإضطهاد الذي تعرض له نصارى نجران على يد يوسف ذو نواس الحميري^(٣) اليهودى، وخرجت الحملة بقيادة أرباط ومعه أبرهة، ونجحا في تحقيق هدف الحملة، واحتل الأحباش اليمن

(١) هتون الفاسي: ملكات الأنباط، ص ٢٩.

(٢) جلين وارين: الأنباط، ترجمة/ أمال محمد الروبي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة. ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٨٦؛ القاضي عبد الله: المرجع السابق، ص ٧٠؛ هتون الفاسي: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) محمود عرفه: العرب قبل الإسلام، ص ١٧٢.

وأعلن ملك الحبشة عداءه للعرب الذين كان يحكمهم قباذ ملك الفرس، وصداقته للبيزنطيين مما اكسب البيزنطيين مكاسب سياسية واقتصادية^(١) من وجود أتباعهم الحبش باليمن العربية وبعد ذلك قرر الأحباش في اليمن أن يتوسعوا ويضموا مكة والحجاز لهم وخرجت حملة أبرهة تقريباً ما بين عام ٥٧٠م أو ٥٧١م، ووصل إلى تهامة واخذ في سيره لمكة إلا أن حملته تم القضاء عليها بواسطة الطير الأبايل التي ذكرت في القرآن الكريم قال تعالى:-

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول﴾^(٢).

كما حاول البيزنطيون استمالة عثمان بن الحويرث الذي تنصر في الجاهلية لكي يجعلوه ملكاً على مكة^(٣)، وبالتالي يضمون تبعيته هو وبلده للسياسة البيزنطية، ولكن هذا المشروع فشل هو الآخر.

وبعد ظهور الإسلام كانت الحرب الطاحنة بين الفرس والروم، والتي كانت بدايتها بانتصار الفرس، ثم بشر القرآن بانتصار الروم في بضع سنين.

(١) إبراهيم خميس إبراهيم، معالم التاريخ البيزنطي، ص ١١٥-١١٦.

(٢) سورة الفيل: الآية ١-٥.

(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ١٨٢.

ولكن بداية من عام ٥٥هـ/٦٢٦م بدأ الصدام بين الروم والعرب المسلمون خاصة بعد غزوة دومة الجندل التي كان حاكمها يدين بالتبعية لبيزنطة^(١) وكانت الحروب التي خاضها المسلمون سواء في عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- أو خلفائه من بعده ضد الروم البيزنطيين بقيادة الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م)، وشهد هذا الصراع اندلاع عدة معارك أشهرها تبوك (٥٩هـ/٦٣٠م)، ومن قبلها مؤته (٨هـ/٦٢٩م) وأجنادين (١٣هـ/٦٣٤م) واليرموك (١٥هـ/٦٣٦م) وفتح بيت المقدس (١٦هـ/٦٣٧م) ثم فتح مصر (٢٠هـ/٦٤١م) وبذلك تم طرد الرومان من الشام ومصر، وبلاد العرب في فترة صدر الإسلام، وقد شارك في تلك الحروب العديد من الأبطال الذين كانوا ينتمون إلى قبائل و بطون الأحابيش، وسيعرض الباحث لأبرز مقاتلي مسلمي الأحابيش في الإسلام في الباب المخصص بدور الأحابيش العسكري.

٥-الأنباط:-

النبط شعب عربي أسس في القرون الأخيرة السابقة على ميلاد المسيح مملكة على أنقاض المملكة الأدومية في شمال البلاد العربية، وجنوب فلسطين وبلاد الشام^(٢)، ويحدد البعض تاريخ قيام هذه المملكة

(١) إبراهيم خميس: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٢) خليل يحيى نامي: العرب قبل الإسلام، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ١٦.

بالقرن السادس قبل الميلاد^(١) واستمرت حتى بداية القرن الثاني الميلادي^(٢).

وقد امتدت مملكتهم إلى العديد من المناطق أهمها البتراء، ومنطقة النقب وجنوبي سوريا والعللا، والمنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن وتمتد جنوباً لتشمل جانباً من شمال الحجاز^(٣).

ولقد قرر الأنباط أن يركزون نفوذهم داخل الجزيرة العربية، وينقلون إليها مركز نفوذهم، خاصة بعد أن احتل الرومان مصر عام ٣٠ ق.م^(٤)، وكانت شمال الحجاز تخضع لنفوذهم فترة من الزمن، كما شاركوا في الحملة الرومانية التي قادها إيليوس جالوس على بلاد اليمن عام ٢٤ ق.م.

-
- (١) حسين الشيخ: العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ١١٧.
 (٢) هتون الفاسي: الأوضاع، المنطقة العربية للعلوم والثقافة، تونس، ٢٠٠٥م، مجلد ١ ص ٤٥٤.
 (٣) هتون الفاسي: الأوضاع، مجلد ١ ص ٤٥٤.
 (٤) هتون الفاسي: المرجع السابق، مجلد ١ ص ٤٥٤.

الفصل الثاني

دور الأحابيش السياسي في العصر الجاهلي

"إنا ليد تهذ الهد وتحقن الدم ما أرسى حبشي"

(الأحابيش)

من الضروري قبل ذكر الدور السياسي للأحابيش تقديم تعريفاً عن المقصود بالحلف في اللغة والشرع، وكيفية عقد الأحلاف، ثم بعدها ذكر نشأة حلف الأحابيش، وعلاقتهم بالأحلاف الأخرى، وبعد ذلك يتعرض لدورهم السياسي في العصر الجاهلي.

الحلف في اللغة:-

الحلف: بكسر الحاء المهملة وإسكان اللام^(١)، وتؤنث الواحدة بالهاء فيقال حلفه، وفي التعدي يقال أحلفته إحلافاً، وحلفته تحليفاً، واستحلفته^(٢).

وأصل الحلف المعاقدة، والمعاهدة على التعاضد، والتساعد، والاتفاق وأن يكون أمرهما واحداً في النصره والحماية^(٣)، وسمي العهد حلفاً لأنهم

(١) الشامي: سبل الهدى والرشاد، ج٢ ص٢٠٩.

(٢) المقري: المصباح المنير، ص٩١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج٢ ص٥٥٥؛ المقري: المصدر السابق، ص٩١.

يحلّفون عند عقده^(١).

والأصل في الحلف أن يكون بين قبائل وعشائر كانت مرتبطة فيما بينها برباط تتفاوت وثاقته، ولا يشترط أن يكون عقد الحلف بين القبائل والعشائر فقط بل من الممكن أن يقوم شخص بمفرده بإبرام حلفاً مع أحد القبائل^(٢) كما سيتم توضيح ذلك بالأمثلة.

الحلف في الشرع:-

لا يختلف كثيراً في معناه ومضمونه عن المعنى والتعريف اللغوي للفظ حلف، ولكن هناك فرق واضح، ففي العصر الجاهلي كان يتم عقد الكثير من الأحلاف بين القبائل والعشائر والأفراد، ولكن لما ظهرت الرسالة المحمدية، هُذِبَت مسألة الأحلاف وعقدها، بل عملت على القضاء على كثير من الأحلاف التي قامت في العصر الجاهلي، ومنعت ظهور أحلاف جديدة في الإسلام. ويستنتج ذلك من قوله - صلى الله عليه وسلم - "لا حلف في الإسلام"، ولقد عمل الإسلام على تشديد وبيان فضل بعض الأحلاف كحلف الفضول، فقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من كان له حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة، ولا هجرة بعد الفتح"^(٣).

(١) الحلبي: السيرة الحلبية، ج ١ ص ١٨٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: مادة الحلف، ج ١٥ ص ٣٢٢.

(٣) البخاري: الأدب المفرد، تحقيق/ فريد عبد العزيز، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٤٢.

ولعل ما كان من الأحلاف الجاهلية التي كانت قائمة على نصره المظلوم وصلة الأرحام كالمطيين والأحابيش والفضول، وما هو على شاكلتهم فذلك الذي قال فيه - صلى الله عليه وسلم - " وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزه الإسلام إلا شدة " طالما أنه يهدف إلى الخير ونصرة الحق، وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام وقيل المحالفة كانت قبل فتح مكة ٨هـ^(١)، فقد حالف النبي - صلى الله عليه وسلم - ووادع العديد من القبائل والعشائر سواء كانوا يهوداً أو مشركين كما حالف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار أي آخى بينهم^(٢).

كيفية عقد الأحلاف:-

لقد كانت الأحلاف في بلاد العرب قبل الإسلام ما هي إلا صورة من المعاهدات والاتفاقيات السياسية أو الاقتصادية التي تعقدها الدول والمنظمات في عصرنا الحديث بين بعضها البعض مثل حلف شمال الأطلسي والناطو وعدم الانحياز، والمحور، والحلفاء، وغيرها من التكتلات السياسية والعسكرية التي لجأت إليها بعض الدول لتشد من أزرها فيما بينها وبين بعضها البعض.

(١) منير محمد الغضبان: التحالف السياسي في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م،

ص ٩.

(٢) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٥٤.

وفي العصر الجاهلي نجد أن بعض القبائل عندما كانت تجد نفسها بحاجة إلى تقوية أوضاعها كانت تلجأ إلى عقد الأحلاف فيما بينها مع غيرها من القبائل، لكي تقوى بها، ومنذ عقدهم لذلك الحلف يصبح مصيرهما واحداً^(١)، ولا يفهم من ذلك أن كل الأحلاف كانت تتم بين عشائر أو بطون وقبائل ضعيفة، بل أنها كانت تتم في كثير من الأحيان بين أطراف يتميز كل منهم بالقوة والشجاعة كأطراف حلف الأحابيش وسبق توضيح ذلك.

وهناك أسباب أخرى كانت تدفع بعض القبائل عندما كانت تشعر بضعفها تلجأ إلى القبائل الأقوى منها لتقوى بها وتعتد معها الأحلاف سواء كان هذا الضعف سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً^(٢).

طرق عقد الأحلاف: -

لقد كانت هناك عدة طرق، ومراسم يقوم بها العرب عند عقد أحلافهم وأحياناً كانت هذه الأفعال تلتصق بالذين تحالفوا وقاموا بإجراء هذا الفعل أو التصرف فتطلق على حلفهم، ومن ذلك التصافح بالأكف والتعاقد على

(١) أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) وفي العصر الحديث نجد أن الإتحاد الأوربي قد قام بين بعض الدول القوية سياسياً واقتصادياً ، والبعض الآخر كان يعاني من أزمات اقتصادية وتضخم كإيطاليا، فلما تم عقد الاتحاد الأوربي، وأصدرت الحملة الأوربية الموحدة "اليورو" أصبحت الدول الضعيفة تقوى بالدول القوية تحت مظلة إتحاد واحد هو أشبه بالأحلاف التي عقدت في العصر الجاهلي ببلاد العرب.

المِلح والتحالف على النار^(١)، ولعق الدم كما فعل اللعقة (لعقة الدم)،
 والتمسح بالطيب كما فعل المطيبين^(٢)، وأخذ العهد المؤكد واليمين
 الغموس مثل قولهم ما سرى نجم وهبت ريح^(٣)، وما بل بحر صوفة^(٤)،
 وما رسى حبشي مكانه وهو الجبل الذي إليه نسب الأحابيش عند اقساموا
 على تنفيذ ما تحالفوا عليه قائلين ".... ما رسى جبل حبشي مكانه" قسموا
 بالأحابيش^(٥).

ولقد كان العرب يعقدون الأحلاف في مختلف المجالات، فهناك
 أحلاف سياسية وعسكرية كالفضول والمطيبين والأحابيش.

وهناك أحلاف اقتصادية كالإيلاف بين قريش والروم والفرس والحبشة
 وهناك أحلاف دينية كالطلس والحمس.

وسوف يتم توضيح المقصود بكل هذه الأحلاف في مواضعها
 المخصصة لها في ثنايا البحث إن شاء الله.

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت،
 ج٣ ص٧.

(٢) جلال مظهر: محمد رسول الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص٣٧.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣ ص٧.

(٤) الجاحظ: المصدر السابق، ج٣ ص٧.

(٥) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٢ ص٢٧٠.

حلف الأحابيش:-

لقد قامت في بلاد العرب قبل الإسلام خاصة مكة والمدينة، بوجه خاص العديد من الأحلاف السياسية، وقد وصلتنا أخبار موجزه عنها، في حين لم تصلنا إلا أسماء بعضهم، وأحلاف لم يذكر عنها أى شئ، ولقد عنى المسلمون بتدوين مؤلفات عن الأحلاف، ولكنها الآن في طي النسيان، وفقدت غالبيتها مع ما فقد من تراثنا العربي القديم، ومن أبرز الأحلاف التي كان عليها التركيز، وقد تكون أخبارها وصلة بصورة واضحة هي حلف الفضول، والمطيين، في حين وصلت بعض الإشارات والتلميحات إلى حلف الأحابيش الذي تكاد أخباره تكون مبهمه ويكتنفها الغموض وستحاول هذه الدراسة إعادة الضوء إلى هذا الحلف وذلك عن طريق إعادة قراءة المصادر التي أشارت إلى هذا الحلف ولو إشارات عابرة، وكذلك محاولة تخيل أوضاعهم إن لم يكن هناك ما يشير لذلك، وذلك عن طريق الربط بين أخبار الأحلاف الأخرى الشهيرة، ومعرفة علاقة بعضها بالأحابيش.

بداية حلف الأحابيش:-

إن تحديد بداية عقد وتكوين حلف الأحابيش لهو من الأمور الشائكة والتي لا تخلو من الخلاف حول تحديدها، وكذلك تحديد نهاية وجود هذا الحلف.

فهناك من يرى أن عبد مناف بن قصي هو الذي عقد حلف الأحباش^(١)، وذلك بين عبد مناف بن قصي الذي قام بأمر قريش بعد وفاة قصي بن كلاب، وبين عمرو بن هلال بن معيط الكناني^(٢)، ولكن من دعا لعقد هذا الحلف أهو عبد مناف أم عمرو بن هلال؟.

ففي رواية ابن حبيب أن الذي دعا لعقد هذا الحلف هو عبد مناف الذي أرسل لبني الحارث عبد مناة الذين كانوا رؤساء الأحباش وإلى بني الهون ابن خزيمة لعقد الحلف فيما بينهم^(٣)، في حين أن اليعقوبي يذكر أن بني الحارث بن عبد مناة هم الذين أرسلوا لعبد مناف حتى يعقد بينهم الحلف خاصة أن أمره وشأنه قد عظم بين العرب^(٤)، والراجح رأى ابن حبيب.

فابن حبيب يعول عليه في مثل هذه الأمور الخاصة بالأحلاف وأيام وأخبار العرب خاصة قبل الإسلام أكثر من اليعقوبي، ثانياً: أن عبد مناف قد خاف من اعتداء بني بكر عليه وعلى قريش بعد وفاة قصي الذي أجلاهم عن مكة، فكانون يتحينون الفرصة لإخراج قريش عن الحرم^(٥).

(١) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٣٠؛ الفاكهي: ج ٥، ص ١٨٢؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٦؛ والفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٠٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٢. وعمرو بن هلال هذا أحد سادات الأحباش، وعقد حلفاً بين الأحباش وبين قريش أيام عبد مناف.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٤) اليعقوبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٦.

(٥) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

وسواء كان الذي دعى إلى الحلف بني الحارث بن عبد مناة والهون بن خزيمة أو عبد مناف - وهذا ما يراه الباحث أنه الصواب - فإن هذا الحلف كان مفخرة افتخر به الطرفان، وقد أشاد به أحد الشعراء قائلاً:-

إن عمراً وإن عبد مناف جعلاً الحلف بيننا أسباباً^(١)

وعمراً هو المقصود به عمرو بن هلال بن معيط، وعبد مناف: هو عبد مناف بن قصي والحلف: هو الحلف بين قريش والأحابيش.

وقال غالب بن يشيع من بني الهون: -

بات شحب وبات عبد مناف بيننا يقعدان للأحلاف^(٢)

وشحب هو ابن غالب بن يشيع بن الهون^(٣).

هناك من يرى أن المطلب بن عبد مناف هو الذي عقد الحلف بين قريش والأحابيش^(٤) وقيل هو عبد المطلب بن هاشم^(٥).

و الراجع أن الأحابيش كان حلفهم يرجع إلى أيام قصي أو قبله أو على أقل تقدير كان إختمار فكرة تكوين هذا الحلف قبل أن يلي قصي بن

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢؛ خضير الجميلي: قبيلة قريش، ص ٧٩.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، هامش رقم ٤، ص ٢٣٠.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٥؛ البلاذري: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٥.

(٥) البلاذري: المصدر السابق، ج ١١، ص ١٥٠.

كلاب أمر مكة، وأنهم قد ساعدوه في إجلاء خزاعة وبني بكر عن البيت الحرام.

وهناك أمراً يجب التنبيه إليه لم يتوقف عنده أى من الذين كتبوا عن حلف الأحابيش سواء من المقدمين أو المحدثين حتى إن الأمر قد اختلط على البعض، ويتعلق بقريش أهى من الأحابيش أم لا؟ فمن المؤكد أن قريش ليست من الأحابيش بل هي على علاقة تحالف معهم، وليس معنى أن نقول أن عبد مناف أو المطلب أو عبد المطلب هم الذين عقدوا حلف الأحابيش يكون معناه تكوين حلف الأحابيش من أساسه بل المقصود أنهم هم الذين عقدوا معاهدات وعلاقات تحالفية بين قريش التي كانت لها سيادة وبين الأحابيش الذين كان لهم شئونهم الخاصة، وكان عقد قريش للحلف بينها وبين الأحابيش مفخرة لقريش، فقد قال حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب في رثائه لعبد المطلب بن هاشم ويذكر فضله وفضل قصي بن كلاب على قريش وأولاده من بعده تجميعهم لحلف الأحابيش الذين كانوا يتفوقون مع قريش في أكثر من موقف - كما سيتضح ذلك في موضوعه - قائلاً:-

وهم جمعوا حلف الأحابيش كلها وهم نكلوا عنا غواة بني بكر^(١).

(١) ابن هشام: المصدر السابق، ج١ ص١٠٦.

سبب تأسيس حلف الأحابيش:-

لقد ذُكر في الصفحات السابقة أنه في بعض الأحيان كانت تقوم بعض البطون أو القبائل الضعيفة بعقد أحلافاً مع قبائل أكثر منها قوة لكي يقوا بها سواء كان ذلك لأسباب اقتصادية، أو سياسية، أو عسكرية، وفي حلف الأحابيش نجد أن السبب في تكوينه، وعقده التحالفات المستمرة مع قريش هو الإحساس بالظلم الواقع على بعض البطون والبيوت خاصة في مكة، والاعتداءات والتحرش المستمر من جانب بني بكر بن عبد مناة.

ولقد أحس بذلك بعض الأفراد من بني الحارث بن عبد مناة، مما جعلهم يدعون لعقد حلف الأحابيش، فقط هبط أحد الرجال من بني الحارث بن عبد مناة لمكة ليبيع سلعة له هناك، وأثناء سيره نزل به العطش فطرق على أحد بيوت بني مخزوم لكي يستسقى من هناك، فخرجت إليه امرأة من قريش وناولته الماء، فقال لها الرجل لم لم ترسلية مع أحد الأبناء فقالت له أن بني بكر لم تترك الإمكانية للرجال بأن يمكثوا في منازلهم^(١)، وعندئذ ذهب الحارثي إلى قومه بني الحارث بن عبد مناة لكي ينصروا قريشاً من الذل الذي تنزله بهم قبيلة بني بكر بن عبد مناة^(٢).

(١) ابن حبيب: السابق، ص ٢٢٩، ١٩٥٦، m.hamidullah: les ahabish de la mecque , roma ,

وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة بني بكر لم تكن كلها تعتدى على قريش بل لم تكن قبيلة بني بكر موحدة الصف، فقد كان بين بني ليث والديل ابني بكر ابن عبد مناة عداوات^(١)، كما شارك بني نفاثة بن الديل في حلف الأحابيش وقريش^(٢).

وعلى كل حال فإن الخوف من اعتداء بني بكر بن عبد مناة على قريش بوجه خاص كان يقلق مضاجع القرشيين أنفسهم، وكان عبد مناف بن قصي يقلق من محاولات بني بكر وتهديدهم المستمر بإجلاء قريش عن مكة، كما سبق وأن أجلاهم قصي عنها، أو على أقل تقدير أن يقيم بني بكر بمكة مع القرشيين ولعل هذا السبب يتضح في ذهاب عبد مناف إلى بني الحارث بن عبد مناة لكي يعقد الحلف بين قريش والأحباش لخشية عبد مناف من تهديد بني بكر^(٣) وبني مدلج^(٤) لأحد القرشيين، لذا فإن التحالف بين قريش والأحباش وأحياناً كان يدخل معهم في التحالف مالك وملكان بن كنانة وهذيل لكي يصبحوا يداً واحدة ضد بني بكر بن عبد مناة وبني مدلج^(٥).

(١) عبد الرحمن السنيدي: بكر الكنانية، ص ٣٢.

(٢) عبد الرحمن السنيدي: بكر الكنانية، ص ٣٨. وليس كل بنى بكر تحالف مع الأحابيش أو كانوا ضمن تشكيل الأحابيش. الأزرقى تاريخ مكة، ج ١، ص ١٣٧.

(٣) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٣٠.

(٤) الفاسي: تحفة الكرام ورقة، ٢٠٣؛ الفاسي: شفاء العزام، ج ٢، ص ١١٧.

(٥) الفاسي: تحفة الكرام ورقة، ٢٠٣، ب.

ويبدو أن هذا السبب هو نفسه هو الذي دفع المطلب^(١) وابن أخيه عبد المطلب من بعده^(٢) لعقد حلف الأحاييش أو تجديد الحلف بين قريش والأحاييش، وكانوا يحاربون جنبا إلى جنب في حروب الفجار^(٣).

وقد بلغ من قوة الأحاييش أن أصبحوا يفتخرون بكشرتهم وعزتهم^(٤) وليس كما إدعى البعض من أنهم لم تكن لهم أهمية كبيرة وحاول الحط من شأنهم، وما سيتم عرضه عن دورهم السياسي والعسكري والفكري سيبين أهميتهم.

نهاية الأحاييش وحلفهم:-

كما أن الغموض يحيط ببداية عقد حلف الأحاييش وظهورهم كقوة مستقلة لها كيائها الخاص في المجتمع العربي قبل الإسلام، فإن الغموض أيضاً يحيط بالمصير والنهاية التي آل إليها هذا الحلف وجماعته.

ففي عام ٨هـ تم فتح مكة على يد المسلمون بقيادة النبي - صلى الله عليه وسلم، وفي أعقاب الفتح أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض السرايا إلى أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية، ومن تلك السرايا سرية

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٥.

(٢) البلاذري: المصدر السابق، ج ١١، ص ١٥٠.

(٣) ابن حبيب: المحبر، ص ١٩٢.

(٤) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٣٠.

خالد بن الوليد - رضى الله عنه - إلى الغميصاء^(١)، أو ما يعرف في كتب السيرة بسرية خالد ابن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك بن كنانة وهم من الأحابيش^(٢)، فكان ذلك من الأدلة على وجود الأحابيش بعد فتح مكة، كما أن عكرمة بن أبي جهل قد قاد فرقة من الأحابيش لملاقات المسلمين أسفل مكة أثناء الفتح^(٣).

وهناك إشارة أخرى يستفاد منها أن الأحابيش كانوا متواجدين أثناء فترة الخلافة الراشدة، فبعد أن خط المسلمون الكوفة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تم تقسيم المدينة إلى أعشار، ولكن حدث أن رجحت الأعشار رجحاناً كبيراً، فأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - يعلمه بالخبر، فرد عليه الخليفة عمر أن يقوم بتعديلها^{(٤)(٣)}، على أن يكون التقسيم الجديد أسباعاً، أي سبع أجزاء^{(٥)(٤)}، فأرسل سعد إلى قوم من نساب العرب وذوي رأيهم وعقلائهم منهم سعيد بن تمران ومشعلة بن نعيم فعدو لهم إلى الأسباع، فصارت الأسباع كما يلي:

(١) الغميصاء: بضم أوله، وفتح ثانية، وبالصاد المهملة، على لفظ التصغير موضع ديار بني

جزيمة من بني عامر بن عبد مائة بن كنانة. البكري: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٩؛ الحموي:

المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٩٧.

(٢) ابن حبيب: المنمق، ص ٢١١.

(٣) الطبري: ج ٢، ص ١٨٩.

(٤) ابن حبيش: الغزوات، تحقيق/ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٧١.

(٥) الطبري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٦١.

- ١ - كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم سبعاً.
- ٢ - جديلة، وهم بنو عمرو بن قيس عيلان سبعاً.
- ٣ - صارت قضاة وبجيلة وضيعة وكنده وحضر موت والأزد سبعاً.
- ٤ - مذجح وحمير وهمدان وحلفاؤها سبعاً.
- ٥ - تميم وسائر الرباب^{(١)(٢)} وهوازن سبعاً.
- ٦ - أسد وغطفان ومحارب والنمر وضيعة وتغلب سبعاً.
- ٧ - إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سبعاً^(٣).

وقد نزلت كل قبيلة في خطة خاصة بها وبقيت على هذه الأقسام السبعة السابق ذكرها من زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى زمن عثمان بن عفان - رضى الله عنه، وحين قدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه إلى الكوفة بعد موقعة الجمل سنة ٣٦هـ/٦٥٦م، غير في بعض هذه الأقسام وأجرى فيها بعض التنقلات بين القبائل.

(١) الرباب: هم عدة بطون أو قبائل عدى، تميم، ثور وعكل، وتسموا بالرباب لأنهم تحالفوا ووضعوا أيديهم في جفته فيها رب، وقال بعضهم إنما سمو الرباب لأنهم إذا تحالفوا جمعوا أقداماً من كل قبيلة منهم قرح وجعلوها قطعة آدم، وتسمى تلك القطعة الربه، فسموا الرباب بذلك، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) الطبرى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٦١؛ كاظم الجنابى: تخطيط مدينة الكوفة، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٧م، ص ٧٨-٧٩.

وفي سنة ٥٠هـ/٦٧٠م في إمارة زياد بن أبيه صار تكتل الأقسام القبلية السبعة أرباعاً على نسق ما كان معمولاً به في البصرة^(١).

ويستفاد من هذا الخبر أن الأحابيش كانوا موجودين في صدر الإسلام، أما عن آخر خبر يذكر فيه الأحابيش، ثم تكاد تصمت كافة المصادر والمخطوطات التي لدينا- حتى يظهر لنا جديد من الكنوز العربية الدفينة- هو ذكر الأحابيش في عهد معاوية بن أبي سفيان- رضى الله عنه- فقد جاء وفداً به عبد الله بن صفوان بن أمية المعروف باسم عبد الله الأكبر^(٢)، فتكلم كل في دوره، ولما جاء دور عبد الله بن صفوان سأله معاوية بن أبي سفيان عن حوائجه فقال: تخرج العطاء، وتفرض للمنقطعين، فإنه قد حدث في قومك نابتة لا ديوان لهم، وقواعد قريش لا تغفل عنهن، فإنهن قد جلسن على ذيولهن ينتظرن ما يأتيهن منك، وحلفاؤك من الأحابيش قد

(١) كاظم الجنابي: تخطيط مدينة الكوفة، ص ٥٩.

(٢) هو عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمي المكي، أمه برزة بنت مسعود بن عمرو الثقفي شهدت غزوة أحد ضد المسلمين وكانت مع المشركين، توفي عبد الله الأكبر في منتصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين مع عبد الله بن الزبير، حيث أنه كان من انصاره.

وهو غير عبد الله الأكبر بن وهب بن زمعه الذي قتل يوم الدار مع عثمان بن عفان- رضى الله عنه-. الواقدي: المغازي، تحقيق/محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٨٨؛ الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، ج ١، ص ٥٠٧؛ ابن الأثير أسد الغابة، تحقيق/ على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٣، ص ٢٨٠، ترجمة رقم ٣٠١٨؛ ابن حجر: الإصباح، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٥، ص ٦١، ترجمة رقم

عرفت نصرهم ومؤازرتهم، اخلطهم بنفسك وقومك^(١)، فرد عليه معاوية بن أبي سفيان بالموافقة على تنفيذ طلباته، وهذا الخبر يوضح لنا أن الأحابيش كانوا متواجدين في الدولة الأموية ولكن أوضاعهم كانت سيئة مما جعل عبد الله الأكبر يتكلم بلسانهم لدى معاوية بن أبي سفيان، فمن خلال المواقف التي سبق سردها وفيها ذكر الأحابيش فإن هذا ليس دليلاً كافياً يدل على وجود وبقاء الحلف حتى عهد الأمويين، بل إن الأحابيش كحلف له كيانه الشامخ قد انتهى بعد فتح مكة ٨هـ، حيث أخذت القوة المكونة في الحلف تذوب في بوتقة الإسلام، كما أن ابن حبيب بعد أن ذكر بعض الأحلاف الجاهلية قال مما كان سوى ذلك - أي أحلاف الجاهلية - فهو دعاوة في الإسلام لصداقة أو أرحام أو جوار أو أصهار^(٢).

و بالنظر في موقف عبد الله الأكبر وتكلمه بلسان الأحابيش، فإن ذلك يرجع إلى صلة الرحم بين عبد الله الأكبر والأحابيش، فأخو عبد الله الأكبر هو عبد الله بن صفوان الأصغر، فإن أم عبد الله بن صفوان الأصغر هي البغوم بنت المعزل من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة^(٣) والمعروف أن بني الحارث هم من كبار زعماء الأحابيش.

(١) مصعب الزبيري: نسب قريش ص ٣٨٩؛ الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، تحقيق/ حمد

الجاسر، مجلة العرب، الرياض، د.ت، ج ٢ ص ٨٧٥

(٢) ابن حبيب: المنطق، ص ٢٤٨.

(٣) ابن بكار: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٧٧.

أما عن الأحاييش الذين ذكروا سواء عند تخطيط الكوفة أو في عهد معاوية فيمكن القول أنهم من مجتمع الأحاييش أو القبائل التي كانت تنتمي للأحاييش ولو أمد الزمن بحلف الأحاييش لأصبح الأحاييش اسماً لقبيلة مثله كمثل الرباب التي كانت تتكون من عدة قبائل هي عدى وتيم وثور وعكل^(١)، فبمرور الزمن أصبح اسم حلفهم الرباب يطلق عليهم فعرفوا كما ولو أنهم من قبيلة واحدة.

وعلى الرغم من نهاية الأحلاف بعد فتح مكة، فإن هناك بعض الأحلاف ظلت اسمها وأثرها عالقة في الأذهان كالأحاييش والفضول، الذي ظل أثره قائماً في الأذهان كحلف الفضول^(٢)، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الدور الإيجابي والمحوري الذي قام به المتسبون إلى مثل هذه الأحلاف سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام.

و هناك قول أثاره لامنس يقول إن الأحاييش كان وجودهم واستخدامهم مستمر حتى في القرن السابع الهجري، وكانوا خصيان^(٣) يستخدمون في حراسة المسجد النبوي ونسب قوله إلى السهمودي^(٤)

(١) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) فلقد ظل هذا الحلف قائماً أو على الأرجح عالقاً في الأذهان إلى أيام الدولة الأموية.

(٣) لامنس: الأحاييش، ص ١٨.

(٤) لامنس: المرجع السابق، ص ٥٥٤.

وابن بطوطة وابن جبير^(١)، و يرجوع الباحث إلى تلك المصادر تبين الآتي:

١- أن السمهودي عندما تحدث عن حراسة وحراس المسجد النبوي لم يذكر أن الأحباش كانوا يقومون بهذا العمل^(٢).

٢- أما ابن جبير فقد ذكر أن دار الخلافة كان يتولى حراستها فتيان أحباش مجايب منهم فتى اسمه خالص وهو قائد العسكرية كلها.. اترك وديلم وسواهم^(٣)، ولم يقل أحباش.

أما قول ابن بطوطة الذي يشير إليه لامنس وهو قوله:-

"وخدام هذا المسجد الشريف وسدنته فتيان من الأحباش وسواهم..."^(٤).

فإن المقصود بالأحباش هنا هم الأحباش ففي تلك الفترة كان العلماء يفرقون بين الأحباش والأحباش، حتى أن الأصفهاني في الأغاني على الرغم من تفريقه في طول مؤلفه الأغاني بين الأحباش والأحباش، كان يذكر الأحباش ويريد بهم الأحباش في بعض المواضع، ومثال ذلك في

(١) لامنس: المرجع السابق، ص ١٨، هامش رقم ٤.

(٢) السمهودي: وفاد الوفا، ج ٢ ص ١٠٢.

(٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، تحقيق/محمد زينهم، دارالمعارف، القاهرة، د.ت، ص ١٨٧

(٤) ابن بطوطة: تحفة النظار، تحقيق/ محمد السعيد محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت،

الحديث الذي دار بين سيف بن ذى يزن وكسرى فقد دخل سيف على كسرى، وطلب منه مساعدته في إجلاء الأحباش عن اليمن، ومن الكلام الذي قاله سيف بن ذى يزن "غلبنا على بلادنا وغلب الأحباش علينا، وأنا أقرب إليها منهم، لأنني أبيض وأنت أبيض وهم سودان"^(١)، وفيما سبق تم توضيح أن المقصود بالأحباش هؤلاء هم الحبش وليس الأحباش موضوع الدراسة.

كما أن الأحباش الذين يشير ابن بطوطة إليهم فهم جماعات من الأحباش كان صلاح الدين الأيوبي يرسلهم للخدمة في المسجد النبوي الشريف وكان هؤلاء الأحباش من فئة في المجتمع المصري تعرف بالطواشية^(٢).

وعلى العلم فإن فئة الطواشية هذه كان يتم إحصاؤهم - لن يخوض الباحث في هذه المسألة. ولكن ما يهمنا أنه لو صح أن الأحباش هؤلاء هم الذين يعملون في المسجد النبوي، فإن ذلك يؤكد لنا أنهم ليسوا الأحباش - موضوع الدراسة - لأن العربي المعروف بكبريائه واعتزازه بنفسه فإنه لن يرضى أن يتم له إجراء عملية الإحصاء هذه.

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج٧ ص ٣٠٩.

(٢) مصطفى دويدار: أمراء الطواشية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٥، ص

موثيق وبنود حلف الأحابيش:-

لم تكن الأحلاف التي قامت ببلاد العرب أحلافاً عشوائية أو يتم عقدها لمجرد الحلف أو التكتل دون أن يكون لها أهدافاً تسعى لتحقيقه، وعلى الرغم من عدم تركيز العلماء الذين نقلوا أخبار تلك الأحلاف على الموثيق أو البنود التي اتفق المتحالفون على تنفيذها، والتي توضح السياسة التي تسير عليها الأحلاف ومنها حلف الأحابيش مثل هذه الأحلاف لم يوجد عنه نصاً صريحاً يوضح بنود وموثيق هذا الحلف، ولكن ليس ذلك بصعب استنتاجه إذا دققنا النظر في الأخبار والإشارات القليلة التي وصلتنا عن هذا الحلف وغيره من الأحلاف، أما ما يخص حلف الأحابيش فيمكن استنتاج واستخلاص موثيق وبنود الحلف عن طريقين:-

الأول: القسم الذي أقسم به المتحالفون.

الثاني: بعض المواقف السياسية التي شارك فيها الأحابيش أو مثلتهم.

أما الطريق الأول:-

فإن القسم الذي أقسم به الأحابيش عند تأسيس حلفهم نجد اختلافاً في بعض الروايات التي وصلتنا عنه، وأرى أن السبب في ذلك الاختلاف إنما يرجع إلى تجديد الحلف باستمرار ودخول وخروج قبائل وبتون

مختلفة إليه، ففي المنمق: أنهم تحالفوا بالله قائلين "إننا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسى حبشي"^(١).

وفي تاريخ اليعقوبي: "يقوم رجل من قريش وآخر من الأحباش، فيضعان أيديهما على الركن، فيحلفان بالله وحرمة هذا البيت"^(٢) والمقام^(٣) والركن والشهر الحرام على النصر على الحلف جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاقد، وعلى التعاون على كل من كادهم من الناس جميعاً ما بلّ بحر صوفة"^(٤)، وما قام حري وثبير، وما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة"^(٥).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن صاحب كتاب "تاريخ قريش" قد اعترض على نص القسم الذي أورده اليعقوبي، واحتج في ذلك إلى أن هذا القسم مدهسوس وأنه يحمل معاني لم تعرف إلا في الإسلام^(٦)، ولم يقدم أى

(١) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٣٠.

(٢) البيت: الكعبة المشرفة.

(٣) المقام: مقام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام.

(٤) لقد وردت هذه العبارة في عدد من أحلاف الجاهلية كحلف المطيبين والفضول، وصوفة البحر: شئ على شكل هذا الصوف الحيواني، واحدته: صوفة، والظاهر أن هاء صوفة فيه للتأنيث كهاء ثمرة وأن المراد بذلك القطعة من الصوف من المنمق لابن حبيب، ص ٢٧٩، ابن منظور: السابق، ج ٥، ص ٤٣٣، الألويسي: سبائل الذهب، هامش رقم ١، ج ١، ص ٢٧٧، مصطفى شلبي: شرح السيرة، د. ن، د. ت، ج ٢، ص ١٠١.

(٥) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٧٩؛ اليعقوبي: ج ١، ص ٢٠٦؛ شفاء الغرام، ج ٢، ص ١١٧.

(٦) حسين مؤنس: ص ١١١، وهذه المقولة التي اعترض عليها قد استخدمها المتحالفون أيضاً في حلف الفضول. المنمق: ص ٢٧٩، شفاء الغرام، ج ٢، ص ١١٧.

دليل على رأيه هذا وإنما اكتفي بما قال، ولاشك أنه غير محق في ادعائه هذا، لأن العرب خاصة في الحجاز كان فيهم المتدينون والموحدون ولم يكونوا على جهل بالله أو إنكار بوجوده^(١)، فقد كان منهم الموحد ومنهم المشرك، والكافر، وغيرهم من أتباع الأفكار العقائدية الأخرى.

كما أن هناك روايات أخرى توضح وتؤكد أن هذا النص هو الذي أقسم عليه الأحابيش وأن السبب في اختلاف بعض الروايات عن بعضها البعض هو تجديد الحلف من فترة لأخرى، كقولهم عند تحالفهم بالله: "إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل أو نهار، وما أرسى حبشي مكانه"^(٢).

والرواية الأخرى لأحد مؤلفي التاريخ الخاص بمكة وله أكثر من مؤلف في ذلك، ومما ذكره حول نص الحلف: "كان تحالف قريش والأحابيش على الركن يقوم رجلان أحدهما من قريش والآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القائل يحرمه هذا البيت، والمقام والركن، والشهر الحرام، على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاون والتعاقل وعلى من عاداهم من الناس جميعاً ما بل بحر صوفة، وما قام حراء وثبير، وما

(١) قال تعالى: ﴿وَلئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾. (لقمان: ٢٥)

(٢) ابن رشيقي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٦٩؛ الحلبي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٧.

طلعت الشمس من مشرقها وما غربت من مغربها، تدونا ونديكم إلى يوم
القيامة»^(١).

وصيغ القسم هذه على رغم من قصرها إلا أنها تحمل معاني كثيرة
منها نستطيع معرفة الموثيق التي تعاهد عليها الأحابيش، والتي أثبتت
الأحداث أنهم قد التزموا بها لحد كبير، وفيما يلي البنود التي جعلوها
ميثاقاً لهم، ثم يعرض الأمثلة التي تبين حرص الأحابيش في تنفيذ ما
تعاهدوا بالله على تنفيذه.

١- الدفاع عن المظلوم وأخذ حقه من الظالم، وهذا ما كان ينادي به
الحارثي الذي استسقى من دار أحد المخزوميين، والتي اشتكت له المرأة
من اعتداء البكرين عليهم، فلما سمع ذلك ذهب إلى بني الحارث بن عبد
مناة لكي يشدوا حلف الأحابيش لمواجهة ظلم بني بكر بن عبد مناة ضد
قريش^(٢).

٢- التكتاف والتناصر بين أعضاء الحلف بعضهم البعض، ولعل هذا
من واجبات وحقوق الحليف تجاه حليفه، ويشهد على ذلك قول

(١) الفاسي: تحصيل المرام. مخطوط. الفصل الرابع والثلاثين (مخطوطه غير مرقمة)؛ الفاسي:
تحفة الكرام، ورقة ٢٠٣ب؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١١٧؛ العصامي: سمط النجوم
العوالي، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج ١،
ص ٢٣٧.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، تحقيق/ عبد العزيز بن باز وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨١هـ،
ج ٤، ص ٤٧٣.

الأحابيش عند قسمهم أثناء عقدهم الحلف سواء عند جبل حبشي أو عند الكعبة أن يتعاونوا ويتكاتفوا ضد من يعاديهم^(١).

٣- حقن الدماء قدر المستطاع، وذلك حفاظاً على الأنفس وأرواح إخوتهم العرب، وذلك يتضح من قولهم "إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم"^(٢).

٤- دفع دية القتل، ولعل ذلك كان إيماناً منهم ومحاولة للقضاء على ظاهرة الأخذ بالثأر التي كانت تعاني منها بلاد العرب قبل الإسلام ونجاحه في منطقة الحجاز، ويتضح ذلك من قولهم "تدونا ونديكم"^(٣).

٥- ألا يصدون الحجاج أو أى شخص يريد قضاء الحج أو العمرة عند الكعبة المشرفة، وعلى الرغم من عدم وجود هذا في القسم الذي أقسم عليه الأحابيش ومعهم قريش سواء عند جبل حبشي أو عند الكعبة، ولكن في عام الحديبية ٦هـ نجد أن قريش لما حاولت أن تصد المسلمين عن البيت الحرام، وأرسلت سفيراً من الأحابيش هو الحليس بن علقمة، الذي ذهب لمعسكر المسلمين وفي طريقه رأى الهدى، فعاد إلى قريش وقال لهم إنني قد رأيت ما لا يحل صده، رأيت الهدى في قلائده قد أكل أو باره معكوفاً^(٤) عن محله، والرجال قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت، أما والله ما على هذا حالناكم ولا عاقدناكم: على أن تصدوا عن

(١) اليعقوبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٦.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٣) الفاسي: تحفة الكرام، ورقة ٢٠٣ب؛ العصامي: سمط النجوم، ج ١، ص ٢٣٧.

(٤) أى محبوساً.

بيت الله من جاء له معظماً، لحرمة مؤدياً لحقه^(١)، ولم يتردد الحليس بن علقمة في أن يهدد حلفاءه القرشيين بأن ينفر بالأحاييش ضدهم إن لم يتوقفوا عن منعهم للمسلمين من أداء العمرة وأن يخلوا بين المسلمين وبين الكعبة^(٢).

ولاشك أن هذا الموقف يدل على تمسك الأحاييش ورؤسائهم بتطبيق عهودهم وصيانتهم لحرمة الكعبة أقله في الأشهر الحرم، حيث كانت وقعة الحديبية في شهر ذي القعدة^(٣)، وهو من الأشهر الحرم.

هذه هي أهم البنود التي سار عليها الأحاييش وأقاموا حلفهم لأجلها والتي أمكن استخلاصها من المصادر التي تحدثت عن الأحاييش على الرغم من عدم وجود أى مصدر أو مرجع أو بحث تعرض لمسألة المواثيق والبنود التي اتخذها الأحاييش لتنفيذ سياستهم.

ولعل من الأدلة التي تدل على أن الأحاييش قاموا بتنفيذ سياسة حلفهم أنها لم تكن أهدافاً وشعارات يتشدقون بها لجذب الشرعية أو الاستعفاف من الشعب كما يحدث الآن في الأحزاب السياسية المعاصرة

(١) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٨٩؛ ابن هشام: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٦٧؛ المقرئ: إمتاع الأسماع، تحقيق / محمد عبد المنعم النمسى، دار العلوم العربية، القاهرة، ط ١٩٨١م، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٨٧.

(٣) مغلطاي: المصدر السابق، ص ٩٠.

بل وبعض الحكومات من أن تعلن مبادئها ومواثيقها، ولكنها في الواقع لا تقوم بتنفيذ أى من تلك المبادئ.

أما الأحابيش فقد سعوا جاهدين لتحقيق ما اتفقوا عليه، فكانوا دائماً يقفون في وجه أى اعتداء ضد حقوق الآخرين، والدليل هو عقدهم حلف الأحابيش مرة لمساعدة عبد مناف للوقوف ضد اعتداء بني بكر عليهم^(١) وكذلك عقد الحلف مرة أخرى بعد علمهم بالظلم الذي ينزله البكريون ببعض بيوتات العرب كما سبق توضيح ذلك في قصة المرأة المخزومية.

أما مسألة الدية وحقن الدماء فقد كان هناك من يقوم ويتم تكليفه بهذه المهمة في حين أن هناك من كان يأخذ بثأره حتى في الأشهر الحرم^(٢).

وأما التكاثر جنباً إلى جنب ضد من يعاديهم ويعتدي عليهم فذلك كما في حروب الفجار على سبيل المثال، وسوف تعرض هذه الحروب في الدور العسكري للأحابيش.

الأحابيش وعلاقتهم بالأحلاف الأخرى:-

لم يكن الأحابيش بمعزل عن الأحلاف الأخرى التي أتت بعد عقد حلف الأحابيش، خاصة أن هذا الحلف كان أقدم الأحلاف التي قامت في

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٢) العصامي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٥. وكان هناك من بنى الدليل من يقوم بأداء الدية

سبل الهدى والرشاد، ج ٥ ص ٣٠٤.

الحجاز^(١)؛ بل أن هناك أحلافاً أخرى خرجت من الحلف الأم أي حلف الأحايبيش وكونت أحلافاً أخرى، بالإضافة إلى حلفهم الأساسي الأحايبيش، وهنا في عرض علاقة الأحايبيش بالأحلاف الأخرى لن يتم التعرض لكل الأحلاف التي كانت قائمة بل الاكتفاء بعرض الأحلاف التي جاء فيها نصاً يوضح ذلك، وكذلك ذكر أهم الأحلاف التي عقدت وكان فيها طرفاً من الأحايبيش.

أ- الأحايبيش وعلاقتهم بحلف الفضول: -

يعد حلف الفضول واحداً من أهم وأشهر الأحلاف التي قامت بمكة قبل الإسلام، وكان ذلك بعد منصرف قريش من حروب الفجار الأخيرة التي شهدتها النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال فيه لقد شهدت حلفاً في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولودعيت به لأجبت^(٢) وفي رواية:-

"لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول، أما لو دعيت إليه اليوم لأجبت، وما أحب أن لي به حمر النعم وأنى نقضته"^(٣).

وقد اشترك في عقده بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تميم^(٤) وسمي بالفضول لأنه يشبه الحلف الذي عقدته جرهم قديماً، حيث

(١) ابن حجر: فتح الباري، ج ٤، ص ٤٧٣.

(٢) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢٨٩.

(٣) ابن واصل: تجريد الأغاني، القسم الثاني، ج ٢، ص ١٨٧٦.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص ١٩٠.

تحالف ثلاثة منهم ثم الفضل بن فضالة، والفضل بن وداعة، وفضيل بن الحارث وقيل: الفضيل بن شراة والفضل بن وداعة والفضل بن قضاة، فلما أشبهه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمي: حلف الفضول، جمع فضل وهم السابق ذكرهم^(١).

وقيل لأن المتحالفين تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً بظلمه أحداً إلا أخذوه منه، فقالت قريش هذا فضول منهم في بذلك أصحاب حلف الفضول^(٢).

أما عن سبب هذا الحلف فقليل أن رجلاً من زييد من اليمن لم تذكر المصادر اسمه باع سلعة للعاص بن وائل السهمي، فمطله بالثمن حتى يئس، فاستغل اجتماع أشرف قريش فصعد إلى الجبل ونادى بصوته عالياً يقول:-

يا للرجال لمظلوم بضاعته
إن الحرام لمن تمت حرامته
ببطن مكة نائي الحى والنفر
ولا حرام لثوب الفاجر القدر

فمشت قريش بعضها إلى بعض وقرروا على أن ينصفوا المظلوم من

(١) السهيلي: الروض الأنف، تحقيق/ مجدى منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت،

ج١، ص٢٤٢.

(٢) ابن حبيب: المنمق، ص٢٧٩.

الظالم، فكان أول من سعى لذلك هو الزبير بن عبد المطلب^(١) عم النبي محمد.

وهذا الحلف منذ بداية عقده قد اعترف بوجود حلف الأحابيش وعملوا على اشراكهم معهم في الحلف^(٢)، ويتضح ذلك من قسم المتحالفين أثناء عقد هذا الحلف: "ألا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا عليه مظلمته، أو يبلوا في ذلك عذراً، وألا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أقدره، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(٣).

وفي ذلك يتضح أن أصحاب حلف الفضول لم يغفلوا وجود الأحابيش وعملوا على أن ينصروا المظلومين سواء من قريش ومكة وكذلك الأحابيش.

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) يقول النويري: أن الواقدي قال أنه لا يعلم أحد سبق بنى هاشم بهذا الحلف نهاية الأرب، لأن هناك أحلافاً سبقي هذا الحلف كالأحابيش والمطييين، إلا أن يكون قصده حلف الفضول الذي عقده جرحم، قبل أن تلي قريش ولاية الكعبة وتعقد أحلافها. النويري: نهاية الأرب، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٩٥٥م، ج ١٦ ص ٩٥.

(٣) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢٩٢.

(ب) حلف الأحباش والأحلاف المنشقة عنه:-

لقد عمل بعض المنتمين إلى حلف الأحباش إلى عقد أحلافاً مع بطون وقبائل أخرى غير التي تنتمي إلى حلف الأحباش، وقد يكون المقصد من ورائها هو توسيع دائرة الحلف وضم إليه أكثر القبائل الأخرى ومن المعلوم أن حلف الأحباش كان يضم عدة قبائل، فقد يكون بين تلك القبائل وقبائل أخرى غير المنتمية إلى الحلف ضغينة أو خلافاً حال دون أن تشترك هذه القبائل المنتمية لحلف الأحباش تعقد أحلافاً أخرى بجانب حلفهم الأم حلف الأحباش، وأهم تلك الأحلاف:-

حلف القارة: وهم من الأحباش - لبني زهرة^(١)، حلف آل عمرو بن الأعظم من الحيا الخزاعية - التي كانت ضمن الأحباش - بني مخزوم وبني المغيرة^(٢).

حلف بني نفاثة من الأحباش لحرب بن أمية^(٣).

ليس هذا فقط ، فهناك أيضاً بني المصطلق حالفوا بني مدلج^(٤) وهناك

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٤٧.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٤) المقرئزي: إمتاع الأسماع ، تحقيق/ محمد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م ، ج ٦، ص ١٨٦.

أيضاً حلف قارظ من بني الحارث بن عبد مناة لبني زهرة بن كلاب^(١).

مما لا شك فيه أن هذه الأحلاف التي كان الأحابيش لهم فيها وجود وتواجد إنما يدل على المكانة السياسية التي كان يتمتع بها الأحابيش سواء الحلف بأجمعه أو حتى أي قبيلة من قبائل هذا الحلف.

(١) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٣٩.

المرأة ودورها في عقد حلف الأحابيش: -

إن أهم ما يميز قيام الأحلاف في العصر الجاهلي هو اشتراك المرأة في الحياة السياسية وعقدتها أو تسببها في عقد بعض الأحلاف، وهذا ليس ببعيد على المرأة العربية التي لم يعطيها بعض كتاب التاريخ إبراز حقها بل أن أكثر الكتابات تصورها في حالة من الضعف وإهدار حقوقها، في حين أن المرأة العربية تمتعت بكامل حقوقها ومكانتها في المجتمع العربي منذ أقدم العصور فها هي ملكة سبأ التي قيل أن اسمها بلقيس بنت الهداد بن إل شرح بن شرحبيل بن الحارث الرائي^(١)، والتي أبدت من الشجاعة ما جعل قومها بأجمعهم يملكوها عليهم^(٢)، وسواء كانت هي التي في قصة سليمان - عليه السلام - أم لا فإن ما يهمنا هو أن المرأة قد وصلت إلى الحكم في بلاد العرب، وليست هذه الحالة الوحيدة التي تحكم فيه المرأة ببلاد العرب، فهناك من اشتهرن كملكات خاصة عند النبط كشقيلة الأولى وشقيلة الثانية وجميلة وهاجر وسعيدة وفصيل وكل هؤلاء اشتهرن كملكات للنبط بل ونقشن أسمائهن وصورهن على العملة^(٣) خاصة شقيلة الثانية زوجة الملك "مالك الثاني" التي ظهرت معه على العملة منذ العام

(١) الهمذاني: الإكليل، تحقيق/ محمد الأكوخ، مكتبة الرشاد، صنعاء، ٢٠٠٨م، ج ١٠ ص ٣٢.

(٢) ابن حبيب: أسماء المغتالين، تحقيق/ سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،

٢٠٠١م، ص ٤٤.

(٣) هتون الفاسي: ملكات الانباط، ص ٢١.

الأول لإعتلائه القرن ٤٠/٤١ ميلادية، بل أن العملة أصبحت تصل باسمها حتى بعد وفاة زوجها ٧٠ ميلادية وحتى عام ٧٥/٧٦م^(١).

كما كانت هناك زنوبيا التي وقع على أعتاقها مسئولية دولة تدمر بعد وفاة زوجها أذينة الأكبر سنة ٢٦٧م، واستطاعت أن تدير شئون الدولة، بل أنها نشرت سلطانها على مصر والشام والعراق وما بين النهرين وآسيا الصغرى إلى أنقرة^(٢).

أما في بلاد العرب خاصة في فترة البحث التي بصدد الحديث عنها فقد كانت المرأة لها وضعها المتميز بالرغم من إهمال ذكر ذلك الدور، واكتفى البعض بعرض ما كانت تتعرض له من اضطهاد ووأد، نعم فقد كان هناك عادة وأد البنات، وهناك جبل أبو دلامة كانت قريش تؤد فيه البنات^(٣)، ولكن لم تكن تلك العادة منتشرة بكل بلاد العرب، فكان للمرأة كلمتها التي تطاع وشاركت في الحياة السياسية، فها هي عاتكة بنت مرة زوجة عبد مناف بن قصي تشارك في عقد حلف الأحابيش^(٤)، كما قامت

(١) هتون الفاسي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٠١.

(٣) الأبيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق/ إبراهيم أمين، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ٣٦٨.

(٤) أحمد أمين سليم: تاريخ وحضارة العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٨.

ربطة بنت عبد مناف التي كانت متزوجة من معيط بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بجر حلف الأحابيش^(١).

كما اشتركت المرأة بعد ذلك في عقد حلف المطيين فقد قدمت أم حكيم أو أختها عاتكة بنت عبد المطلب^(٢) والصواب أم حكيم بنت عبد المطلب البيضاء توءمة عبد الله والد النبي - صلى الله عليه وسلم - التي أخرجت جفنه فيها طيب أثناء النزاع على الرفاة بين بني عبد مناف وبين بني عبد الدار بن قصي، فتحالف بنو عبد مناف وأسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر وغمسوا أيديهم في الجفنه التي فيها الطيب^(٣) بعد أن قالت لهم أم حكيم "من كان منا فليدخل يده في هذا الطيب"^(٤)، فأدخلوا أيديهم فيه فسموا بالمطيين، ثم سموا أيديهم في الكعبة^(٥).

وهذه الأمثلة توضح دور المرأة في عقد الأحلاف، والذي بدأ بها عاتكة بنت مرة أثناء عقد حلف الأحابيش بين بني الحارث بن عبد مناة وعبد مناف، ثم أصبحت مشاركة المرأة في عقد الأحلاف شيئاً له أهميته.

وسوف تُعرض ملامح من أوضاع نساء الأحابيش في الحياة العسكرية والاجتماعية والفكرية للأحابيش.

(١) الزبيرى: المصدر السابق، ص ١٥.

(٢) جلال مظهر: محمد رسول الله، ص ٢٢.

(٣) ابن حبيب: المنق، ص ٢٧٤.

(٤) ابن بكار: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٦٢.

(٥) مصطفى شلبي: شرح السيرة، د. د. ت. ج ٢، ص ١٠٢.

انتخاب سيد الأحابيش وحقوقه وواجباته:-

بعد التعرض في الصفحات السابقة لكيفية عقد حلف الأحابيش والمواثيق التي سار عليها الأحابيش في تنفيذ سياسة حلفهم بقي أن نعرف كيف كان يتم انتخاب رئيس أو زعيم الأحابيش، ثم معرفة حقوقه وواجباته.

أ - انتخاب زعيم الأحابيش:-

كما سبق القول أن الأحابيش كانوا عدة قبائل عربية تحالفوا مع بعضهم البعض، وبما أنهم عرب خُصَّص كما ثبت ذلك، فإن تحديد أو معرفة كيف كان يتم انتخاب سيد للأحابيش أو زعيم يتولى زعامة الحلف، ويرجعون إليه في الأمور والأحداث المختلفة ليس أمراً صعباً بالرغم من عدم وجود أى نص في المصادر والمراجع المختلفة، وتحدثت عن الأحابيش لأن ما ينطبق على شروط انتخاب زعيماً لقريش مثلاً لا يختلف عن الشروط التي يجب توافرها في سيد الأحابيش، فكان لا بد من توافر النسب العربي، وصفة الشجاعة، والجود، والغيرة، وسعة الثروة، وسداد الرأي، والخبرة في الحياة، وهذه الخبرة يكتسبها مع كبر السن، وتوافر مثل هذه الصفات في شخص ما كان يحق له أن يكون سيد قبيلته^(١)، وسيداً للأحابيش.

(١) أحمد الشريف: المرجع السابق، ص ٣٠.

وبالنظر في حال زعماء الأحابيش الذين مر ذكر بعضهم أو سيمر ذكر البعض الآخر منهم في متن هذا البحث، سيتضح أن كل هذه الشروط، تتوافر فيهم، فعن الشجاعة نجد أن الأحابيش كانوا مقدامين في الحروب والمخاطر التي تواجههم، واشتهروا بالشجاعة لأجل ذلك مثل الحليس بن يزيد سيد الأحابيش يوم عكاظ في الجاهلية، والذي كان من المتقدمين للمبارزة في هذا اليوم حتى كسرت عضده من شدة القتال^(١)، وكذلك نوفل بن معاوية الديلي الذي شهد بدرأ والخندق مع المشركين وكان له ذكر ونكاية^(٢)، بالإضافة لمشاركته في بعض الحروب الأخرى في الجاهلية وصدر الإسلام.

وعن الجود والمنعة، كان بنو الحارث بن عبد مناة أعز بني كنانة وأجودهم وأنفعهم^(٣)، وكانت بيدهم سيادة ورياسة الأحابيش في أكثر الأحيان.

وعن الخبرة التي يكتسبها السيد عند طول عمره، نرى ذلك يتمثل في نوفل ابن معاوية الديلي الذي عاش تقريباً مئة وعشرين سنة، قضى نصفها في الجاهلية والنصف الآخر في الإسلام^(٤).

(١) ابن حبيب: المنمق، ص ١٧٧.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢، ج ٥ ص ٦٥٦.

(٣) القالي: الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣ ص ٢٥.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ٢٣٠. وسيأتي الحديث عنه فيما بعد.

هذا وقد برز العديد من سادة الأحباش وترجع أنسابهم إلى قبائل ويطون مختلفة، منهم الحليس بن علقمه سيد الأحباش يوم أحد والحديبية^(١) والحليس ابن يزيد من بني الحارث بن عبد مناة سيد الأحباش وأحد رؤساء العرب في حرب الفجار^(٢)، وكذلك بني الأسود بن رزن الديلي الذين كانوا مفخرة بني كنانة وأشرفهم^(٣).

وكان من هؤلاء السادة أيضاً يعمر بن نفثة الديلي الذي كان سيد بني بكر عند قدوم جيش أبرهة لهدم الكعبة وشارك في مفاوضته^(٤).

وهناك الكثير من سادة الأحباش الذين كانوا زعماء وسادة بما تحمله الكلمة من معنى أهلته صفاتهم من تزعم قبائلهم والحلف، حتى ساروا ندأ لقريش.

(ب) حقوق وواجبات سيد الأحباش :-

فإن أهم الحقوق التي يجب كان يتميز بها رؤساء وشيوخ القبائل العربية ومنهم الأحباش، السمع والطاعة، فيجب أن يسمع أبناء القبيلة إلى كلام وأحكام شيخ قبيلتهم ويطيعوا أمره فيما يقوله، وكانت هذه الطاعة

(١) المقرئزي: المصدر السابق، ج١ ص٢٢٢.

(٢) ابن حبيب: المحبر، ص١٩٢.

(٣) الكلاعي: الاكتفاء، تحقيق/محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١

ص٤٩٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤ ص٢٧٣؛ الشامي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٠٤.

(٤) ابن هشام: المصدر السابق، ج١ ص٣٩؛ السهيلي: المصدر السابق، ج١ ص١٢٢.

عمياء، حتى جاء الإسلام وأمر بطاعة ولي الأمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

وقال - صلى الله عليه وسلم -: "اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة"^(٢).

والطاعة التي حث عليها الإسلام تجاه الحاكم طاعة مقيدة بمعنى أنها لا يجب أن تكون طاعة تغضب الله، وذلك من قوله - صلى الله عليه وسلم -: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" سواء كان هذا المخلوق حاكماً أو محكوماً.

ومن حقوق سيد الأحابيش أيضاً أن يختار لنفسه ما يشاء من الغنيمة التي يحصل عليها في حروبهم، وكذلك ربيعها وما يصيبه الجيش من العدد قبل اللقاء وكذلك من حقه كل ما يتبقى من توزيع الغنيمة، وقد جمع كل هذه الحقوق الشاعر عبد الله بن عنمة الضبي في بيت شعر قائلاً:

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول^(٣).

أما واجبات سيد الأحابيش أن يقود الجيش عند الحرب ويدافع عن حقوق أبناء قبيلته ويحافظ على دمائهم وأرواحهم وأعراضهم، ويجب أن

(١) سورة النساء: آية ٥٩.

(٢) الخضري: إتمام الوفاء، تحقيق / إبراهيم أمين، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ١٤.

(٣) أحمد الشريف: المرجع السابق، ص ٣١.

يكون قوياً ومن بيت ذو عصبية وقوة، وهذا يتضح فيما سبق ذكره في شروط اختيار سيد الأحابيش.

الأحابيش والأحداث السياسية في العصر الجاهلي:-

لقد شارك الأحابيش في الأحداث التي شهدتها مكة في العصر الجاهلي، ومنذ تأسيس الأحابيش لحلفهم عملوا على أن يكون لهم التواجد الفعال والمؤثر في مجريات الأحداث التي تحدث في مكة وما جاورها، فعندما شرع قصي بن كلاب في استرداد ولاية البيت من خزاعة أرسل إلى جماعة من بني كنانة لكي يقفوا معه ويساندوه^(١)، كما استنصر أيضاً بأخيه لأمه رزاح بن ربيعة القضاعي بالإضافة لقريش^(٢).

وما كان من بني كنانة إلا المسارعة للوقوف مع قصي، ولا يستبعد أن يكون المقصود ببني كنانة الذين ساعدوا قصي هم بنو الحارث بن عبد مناة زعماء الأحابيش، لأن في تلك الفترة كانت بني بكر مستبدة بأمر الكعبة مع خزاعة كما أن بني بكر كانت دائماً ما تحاول أن تُغير على مكة لمحاولة إجلاء قريش أو أقله النزول مع قريش بجوار البيت، وذلك بعد قصي وتولي ابنه عبد مناف أمر مكة، وكما مر فإن عبد مناف قد استنجد ببني الحارث بن عبد مناة لكي يتحالفوا معه للوقوف ضد اعتداءات وتهديدات بني بكر بن عبد مناة ضده. ويمكن استثناء بني الدليل ونفائة

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٨١؛ ابن الضياء: تاريخ مكة، ص ٥٩.

(٢) ابن الضياء: تاريخ مكة، ص ٥٩.

البكرين منهم لأنهم كانوا ضمن الأحابيش كما أن ما يدعم رأي الباحث بأنهم المقصود بنو كنانة الذين ساعدوا قصيماً هم بنو الحارث، أن عبد مناف قد ناسبهم، وزوج ابنته ربطة لمعيط بن عوف بن الحارث بن عبد مناة، وقد ساعدت ربطة في عقد حلف الأحابيش بين أبيها وبني الحارث بن عبد مناة بن كنانة^(١)، أضف إلى ذلك أن بني الحارث بن عبد مناف لا يستبعد أن يكونوا قد رأوا إن نجح قصي فيما عزم عليه أن يمنحهم بعض الامتيازات ويزيد من مكانتهم ووضعهم بمكة وما جاورها.

وعلى كل حال نجح قصي في الاستيلاء على ولاية البيت وقام بتجميع قريش الظواهر والبطاح داخل مكة، ثم شرع في تنظيم مكة سياسياً وأسس دار الندوة وكان الدخول إليها مكفولاً للجميع على شروط قد وضعها قصي، وكان من الذين يدخلونها ويتشاورون فيها الأحابيش سواء من بني الحارث بن عبد مناة أو غيرهم، كما أقر قصي بني مالك بن كنانة نساء الشهور على ما كانوا عليه^(٢)، وكانوا ضمن الأحابيش واشتركوا في المواجهة ضد المسلمين عام فتح مكة ٨هـ، وبعد وفاة قصي تولى ابنه عبد مناف مقاليد الأمور فسارع إلى عقد الحلف مع الأحابيش^(٣) بل

(١) الزبيرى: المصدر السابق، ص ١٥.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٣) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٣٠؛ اليعقوبى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٠٦.

(٣) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٣١.

وزوج ابنته ريطة لمعيط بن عوف الحارث^(١) مما يجعل الاتفاق والارتباط السياسي مع الأحباش وثيقاً.

وفي عهد المطلب وعبد المطلب حرصوا على استمرار التحالف مع الأحباش فعقد عبد المطلب حلفاً آخر مع خزاعة شارك فيه بني المصطلق الذين كانوا هم الآخرين ضمن الأحباش، وقد كتب نص التحالف وحضره عبد العزى بن قطم المصطلقى وكان تم كتابته داخل دار الندوة ثم علق في الكعبة^(٢).

ولم يقتصر الأحباش في تواجدهم السياسي على ذلك بل نرى الحارث بن هشام ابن المغيرة يستنصر بالأحباش لمساندته في أخذ ديته من خزاعة^(٣).

وقد كان لضرار بن الخطاب - الشاعر الجاهلي - بعض الأشياء قد سلبت منه فذهب إلى خالد بن عبيد بن جابر وهو أبو قارظ أحد بني الحارث بن عبد مناة لكي يأخذ لهم العير والدماء وما أخذ منهم، فوافق خالد أن يعينه^(٤).

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج ١ ص ٧١.

(٢) ابن حبيب: المنمق، بتصرف من ص ١٩١ - ١٩٥.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٠٨؛ الزبير بن بكار: المصدر السابق، ج ٢

ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

هذا وقد شارك الأحابيش في الأحداث الجسيمة التي تعرضت لها مكة وكان لهم السبق في محاولة تدارك الأمر، فعندما قدم أبرهة الحبشى لهدم الكعبة واستولى على بعض العير من تهامة، خرج يعمر بن نفثة الديلي سيد بني بكر وكان من الأحابيش، وخرج معه خويلد بن وائلة الهذلي سيد هذيل يعرضون على أبرهة ثلث أموال تهامة مقابل أن يرجع لبلاده ولا يهدم الكعبة^(١).

ويبدو أن أبرهة رفض هذا العرض، لأن من المعلوم أنه تقدم لهدم البيت وحدث ما سيتم ذكره في الباب الخاص بالحياة العسكرية للأحابيش.

وهذا الخبر يدل على مشاركة أحد سادة الأحابيش في تدارك الأمور الجسيمة التي قد تعرضت لها مكة وسكانها وبيتها المحرم للأخطار، ولاشك أن يعمر الديلي بهذا الموقف على الرغم من فشل سعيه لإقناع أبرهة بعدم التعرض للكعبة قد رفع من مكانته بين العرب بوجه عام وسكان مكة وتهامة بوجه خاص.

(١) ابن هشام: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩؛ الأزرقى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٨ - ١٦٩.

الفصل الثالث

دور الأحابيش السياسي في صدر الإسلام

" وحلفاؤك من الأحابيش قد عرفت نصرهم ومؤازرتهم اخلطهم بنفسك
وقومك "

(عبد الله بن صفوان الأموي)

كما كان للأحابيش دور سياسي فعال في العصر الجاهلي نراهم لم يتراجعوا عن أن يكون لهم التواجد الدائم والفعال على الساحة السياسية بعد ظهور الإسلام، حتى أن الحلف بعد فتح مكة ٥٨هـ، حافظ أبناء ورؤساء القبائل التي كانت تكون حلف الأحابيش على تواجدهم ودورهم السياسي، فنرى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استعمل من مسلمي الأحابيش بعض العمال والمستشارين، وسار على هذا النهج الخلفاء الراشدون من بعده.

ولعل دور الأحابيش السياسي في فترة صدر الإسلام يتضح فيما يلي:

في عام الحديبية ٦ هـ عندما خرج المسلمون وعلى رأسهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأداء العمرة اعترضت قريش على مجئ المسلمين لأداء شعيرة العمرة وكاد يقع قتال بين الطرفين، فقررت قريش أن تتفاوض مع المسلمين فأرسلت عدة رسل، رسول في إثر الآخر للتفاوض معهم، وكان من هؤلاء الرسل الذين أرسلتهم قريش الحليس بن علقمة أو ابن زيان سيد الأحابيش^(١)، وكان سيد الأحابيش في غزوة أحد أيضاً، وكان الحليس يتأله (يعظم الهدي)، فاستغل النبي - صلى الله عليه وسلم - تأله الحليس بن علقمة، وتعظيمه للهدي فأمر الصحابة بأن يعيشوا الهدي في وجه الحليس حتى يستثير مشاعره الدينية على الرغم من شرك الحليس، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - محقاً في أمره هذا، فعندما رأى الحليس بن علقمة الهدي يسيل عليه من جانب الوادي في قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، تأثر الحليس مما رأى فعاد إلى قريش ولم يصل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -^(٢).

(١) هو الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة وقيل اسمه الحليس بن عمرو بن الحارث بن المفضل وهو الزبان بن عبد ياليل بن خزامة بن زهرة بن مالك بن عوف ذى الحلة بن الحارث بن عبد مناة ابن كنانة، ويبدو أنهما أثنان وليسا تخصص واحد والأول: هو المقصود هنا. البلاذري: المصدر السابق، ج ١١، ١٣٧؛ ابن ماکولا: الإكمال، تحقيق/ عبد الرحمن يحيى دار الفاروق. القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م ج ٢، ص ٤٩٦؛ المقرئزي: إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

ولما عاد الحليس لقريش قال لهم "يا معشر قريش قد رأيت ما يحل صد الهدى في قلائده قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله"^(١) فردوا عليه قائلين: "اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك"^(٢) فثارت نائرة الحليس واشتاط غضباً وقال لهم يا معشر القوم والله ما على هذا حالناكم وما على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد"^(٣). وهنا خشيت قريش من نائرة الحليس والأحابيش، وحاولوا تدارك الأمر فقالوا له أن هذه مكيدة من محمد وأصحابه فأكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما نرضى به"^(٤).

ولاشك أن هذا الموقف يدل على مدى القوة والزعامة السياسية والحربية التي كان يتمتع بها الأحابيش ورئيسهم الحليس بن علقمة في فترة صدر الإسلام للدرجة التي جعلتهم يتحدون قريش في بعض الأحيان.

(١) ابن حبان: السيرة النبوية، تحقيق/ عبد السلام علوش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٠، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٩.

(٢) في رواية قالوا له "إنما أنت أعرابي جلف". المقرئ: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠١؛ الكلاعي: الإكتفا، ج ١ ص ٤٦٦؛ محمد الغزالي: فقه السيرة، العالمية للنشر، بيروت، ص ٢٥٠.

(٤) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٠١؛ الكلاعي: الإكتفا، ج ١ ص ٤٦٦، المقرئ: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٢.

وبعد ذلك تم إبرام عقد الصلح بين قريش والمسلمين، فدخلت خزاعة في عقد المسلمين، وتوالت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة فقالوا: "نحن في عقد قريش وعهدهم"^(١) ودخل مع بني بكر بني نفثة بن الدليل الذين كانوا من الأحباش، ولم توضح كتب السيرة موقف الحليس أدخل في عهد المسلمين أم ظل مع حلفائه القرشيين؟، لكن من الواضح أنهم ظلوا على عهدهم ومخالفتهم لحلفائهم القرشيين القدامى، كما أن بني الحارث بن عبد مناة الذين منهم الحليس بن علقمة سيد الأحباش، أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة عام الفتح فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة^(٢) مما يدل على استمرار التحالف مع قريش، وظلت هذه الهدنة بين المسلمين وقريش وحلفائهم الأحباش، حتى عدى بنو نفثة بن الدليل بن بني بكر بن عبد مناة على خزاعة عام ٨هـ، فنقضت الهدنة بذلك، ثم دخل المسلمون مكة فاتحين، وعندئذ بدأت القبائل تدخل في الإسلام ومنها القبائل التي كانت مكونة لحلف الأحباش التي لم تكن أسلمت بعد.

وبعد ذلك أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - يستفيد من خبرات زعماء الأحباش السابقين فما هو النبي - صلى الله عليه وسلم - يستشير نوفلاً بن معاوية الديلي في أحد الأمور في غزو الطائف^(٣)، ونوفل هذا كان سيد بني الدليل وكان له دور أساسي في التسبب في نقض صلح الحديبية

(١) البوطي: فقه السيرة، دار السلام، دمشق، ط ١٤٤، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٩.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٦.

والتخطيط للاعتداء على خزاعة عام ٥٨هـ، مما جعل المسلمون يقدمون على فتح مكة ولم يقتصر النبي - صلى الله عليه وسلم - على استشارة زعماء مسلمي الأحابيش، بل أنه كان يختار منهم عماله، والعمالة بفتح العين وهى بمعنى الولاية والإمارة والخطة^(١)، أى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يستخدم منهم وكذلك الخلفاء من بعده عمالهم وأوكل إليهم مهمات مختلفة، فقد أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - نوفل بن معاوية الديلي إلى فزارة لجمع الصدقات ولكن خارجه بن حصن الفزاري لقيه بالشربة وهدده بأن يرجع وينقذ نفسه، وذلك في الفترة ما بين وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتولي أبي بكر الصديق أمر المسلمين، ففر نوفل بن معاوية هارباً حتى قدم على أبي بكر الصديق^(٢).

كما استخلف النبي - صلى الله عليه وسلم - على المدينة عندما خرج لغزوة الحديبية عوف بن الأضبط من بني الدليل^(٣).

كما استعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - قضاعي بن عامر وقيل ابن عمرو الدثلي^(٤) على بني أسد، وكان من الذين شهدوا فتح دمشق ووقع

(١) الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٧٩٥.

(٢) الكلاعي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٣.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق/سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٦٠.

(٤) يذكر ابن حجر: قضاعي هذا هو الذى استعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على بني أسد، وشهد فتح دمشق، وكذلك كان هو أول من كتب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يخبره بأمر أهل الردة. ولكن ابن الأثير يفرق بين قضاعي بن عامر الديلي الذى شهد فتح دمشق وبين

على نص الصلح الذي كتبه خالد بن الوليد -رضى الله عنه- لأهل دمشق^(١).

ويستمر الخلفاء الراشدون في إستعمال بعض مسلمي الأحاييش، فقد استعمل الخليفة عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- طارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة^(٢)، ويبدو أنه هو نفسه طارق بن عبد الرحمن بن المرتفع الذي كان له بستاناً بأسفل مكة ثم اشتراه منه معاوية بن أبي سفيان -رضى الله عنهما- والمعروف باسم حائط ابن طارق^(٣).

كما تولى أبو الأسود ظالم بن عمر الدؤلي ولاية البصرة بعد وفاة ابن عباس -رضى الله عنهما-^(٤) وكان معدوداً من الطبقة الأولى من أهل البصرة فيمن حفظ عنه الحديث بعد أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-^(٥) وكان هجرته للبصرة في خلافة عمر بن الخطاب -رضى الله عنه-^(٦) كما كان علوي المذهب^(٧).

- قصاعى بن عمرو عامل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بنى أسد. ابن الأثير: أسد الغابة ج ٤، ص ٣٨٥-٣٨٦، تراجم رقم ٤٣٠٥، ٤٣٠٦؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٥، ص ٢٤٢.
- (١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، تحقيق/ محب الدين عمر بن غرامة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٤٩، ص ٣٣٤.
- (٢) الفاكهى: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٦؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٢٩١.
- (٣) الفاكهى: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٥.
- (٤) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٠٤.
- (٥) ابن خياط: الطبقات، تحقيق/ أكرم ضياء العمري، بغداد، ط ١، ١٩٦٧م، ص ١٩٠.
- (٦) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٠٤.
- (٧) المصدر السابق: ج ٣، ص ٣٠٤.

ويستمر مسلمو الأحابيش في تقلد المناصب السياسية حتى بعد إنتهاء فترة الخلافة الراشدة وقيام الدولة الأموية ، فقد قام والي خراسان الحكم بن عمرو الغفاري عندما حضرته الوفاة بتعيين أنس بن أبي إياس الدؤلي والياً على خراسان^(١)، وذلك عام خمسين أو إحدى وخمسين حيث توفي الحكم في أحد هذين العامين^(٢)، وأرسل إلى زياد يعلمه بذلك، لكن زياد عزله وولى غيره^(٣).

ولم يقتصر دور مسلمي الأحابيش على ذلك، بل نراهم يشاركون أيضاً في الحوادث السياسية التي شهدتها العرب بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم-، ففي مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة لم يكن هناك أى نص يدل على عدم مبايعتهم له مما يؤكد أنهم قد ارتضوا به كخليفة للمسلمين، وكذلك إقرارهم بخلافة عمر بن الخطاب وعثمان وعلي - رضي الله عنهم-، فقد استعمل عمر ابن الخطاب طارق بن المرتفع الكناني على مكة، وكان أبو الأسود الدؤلي من أنصار على بن أبي طالب- رضي الله عنهم أجمعين- وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن أخو الصحابي سعد بن أبي وقاص أمه من الأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وكان من أنصار على بن أبي طالب أيضاً وقتل^(٤) في

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج ١١، ص ١٠٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ج ١١، ص ١٠٨.

(٤) ابن بكار: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣٧.

صفين^(١)، كما كان حملة بن جوية من بني مالك بن كنانة والياً على بيت مال الكوفة لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، أضيف إلى ذلك حب أبي الأسود الدؤلي الشديد لعلي بن أبي طالب وتشيعه له ولآل البيت -رضوان الله عليهم-.

(١) البلاذري: ج ١١، ص ١٣٨.